

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur  
et de la Recherche Scientifique  
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -  
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أكلي محمد أولحاج  
- البويرة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

# محاضرات في مقياس الحياة الثقافية في الجزائر

مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر

تاريخ الجزائر الحديث "1519-1830م"

د/ شدي معمر رشيدة

## محتوى المادة

- 1- الأوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني
- 2- المؤسسات الثقافية (الأوقاف، المساجد، الزوايا، المدارس، المكتبات)
- 3- التعليم (مراحلته)
- 4- العلماء (نشاطهم، حركتهم، مصنفااتهم)
- 5- العلوم (أنواعها)
- 6- الحواضر الثقافية (تلمسان، بجاية، مدينة الجزائر، قسنطينة، مازونة، معسكر...)
- 7- التصوف والطرق الصوفية
- 8- التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها العربي الإسلامي

## الأوضاع الثقافية بداية العهد العثماني

### مقدمة:

لقد عرفت العديد من المدن الجزائرية قبل الدخول العثماني وطيلة الفترة الوسيطة، إشعاعا علميا ونشاطا فكريا جعل منها حواضر تنافس الحواضر الإسلامية، حيث انتشرت بها المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات، والتأليف في مختلف العلوم خاصة الدينية والأدبية، والتي غالبا ما كانت تحت تشجيع السلاطين والأمراء، كما تميزت بتواجد عائلات علمية توارثت العلم والتأليف، ومن هذه الحواضر نجد:

### 1- مدينة تلمسان:

اكتسبت تلمسان ماضيا تاريخيا هاما لكونها عاصمة الدولة الزيانية، فقد ازدهر فيها الفكر والعمران في عهد الزيانيين، حيث أصبحت من أهم حواضر العلم في العالم الإسلامي وظهر بها علماء كثر وذلك بسبب:

- اهتمام السلاطين الزيانيين بالحركة الثقافية وتشجيعهم للعلم والعلماء ونصرتهم لهم، وتشبيدهم المدارس واهتمامهم بأهل العلم، كما كانوا يشرفون على المجالس والمنابر العلمية، حتى منهم من كان فقيها أو شاعرا أو أدبيا مثل أبو تاشفين الأول المولع بالفن والعمران والشاعر والأديب أبو حمو موسى 02 وأبي زيان محمد الثاني الشاعر. فأبي حمو 02 ناقش عدة قضايا علمية وفقهية، احتك بالعلماء وشجعهم، له كتاب مهم ينم عن علمه ودهائه "واسطة السلوك في سياسة الملوك".

- فأبو تاشفين فقد كان يكرم العلماء ويجزل لهم الهدايا والعطايا، ويرفع منزلتهم ويشجعهم على التأليف كما استقطب الكثير منهم نحو تلمسان.

- الهجرة الأندلسية إليها، خاصة بعد سقوط غرناطة عام 1492م، واحتكاكهم بعلماء تلمسان، الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الثقافة بها وجعلها منطقة حضارية للتبادل الثقافي والاستفادة من خبرات الأندلسيين.

- المنافسة التي كانت بين سلاطين المغاربة على استقطاب العلماء، مؤسس الدولة "يغمراسن" (حكم 633هـ/1236م-681هـ/1283م)، الذي كان حريصا على جذب العلماء وتشجيعهم على التدريس والتأليف، كما أجزل عليهم العطايا، حيث استقر في تلمسان كبير العلماء أبو إسحاق إبراهيم التنسي وأخوه أبو الحسن، فهو كان يرى في لجوء العلماء لدولته هو شرف لها وإغناء لثروتها العلمية وسمعتها الأدبية في العالم الإسلامي. وممن استقطبهم نجد أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن الخطاب الأندلسي وجعله في الكتابة السلطانية للرسائل الموجهة للسلاطين وأمراء الدولة، وهو نفسه الذي طلبه المستنصر أبي عبد الله الحفصي، مقابل أموال كثيرة، لكنه اعتذر له. أما أبو حمو موسى الأول فقد جعل من تلمسان مقصد أهل العلم مثل ابني الامام أبي زيد اللذان شيئا أول مدرسة في عهده، كما كان لا يفارق مجلسهما، وخصهما بالفتوى. فأبو تاشفين كان يبحث عن أهل العلم ويستقدمهم إلى تلمسان، حيث نجده استقدم الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المظماطي وعائلته سنة 680هـ/1280م وقال له: "ما جئتك إلا راغبا في أن تنتقل إلى بلدنا تنتشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج". ومن بين مظاهر العلم في تلمسان إنشاء المراكز التعليمية التي أنشئت من طرف الزيان بين أو المرينيين عند حكمهم المدينة منها:

**1-1- المدارس:** التي كانت مدارس رسمية تابعة للسلطة، فهي من تمويلها وتشرف عليها من تعيين للأساتذة والمدرسين وتخصيص رواتب لهم وإعانة الطلبة، ومن هذه المدارس نجد المدرسة القديمة أو مدرسة أولاد الإمام التي أنشأها أبو حمو موسى الأول عام (710هـ/1310م)، وأنشأ بها جميع المرافق وصارت قبلة للطلبة وتخرج منها كبار العلماء كالشريف التلمساني، وأبو عبد الله المقري، والمدرسة التاشفينية التي بناها يوسف بن تاشفين بالقرب من المسجد الأعظم وكانت تحتوي على الكثير من الكتب، كما أن طلابها زاروا مختلف الأقطار الإسلامية وتعلموا على يد أشهر العلماء، ومدرسة أبي الحسن المريني (مدرسة العباد) التي أنشأها عام (748هـ/1348م)، وهي المدرسة

الوحيدة التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، إضافة إلى مدرسة السلطان أبي عنان التي أنشأها عام (755هـ/1355م)، والمدرسة اليعقوبية التي بناها السلطان أبو حمّو موسى الثاني عام (767هـ/1365م) التي تخرج منها عدة علماء مثل عبد الرحمن ابن خلدون، وغيرها من المدارس الأخرى.

**1-2- المساجد:** فقد شهدت تلمسان تشييد العديد من المساجد التي كانت تقام بها الصلاة إلى جانب مهمة التعليم، ومن أهمّها الجامع الكبير أو الأعظم الذي كان يعتبر جامعة من جامعات العلم، الذي بني في العهد المرابطي على يد يوسف بن تاشفين عام 530هـ/1136م، وشيد منارته السلطان الزياني يغمراسن سنة 630هـ/1236م، ونجد مسجد سيدي أبي الحسن، ومسجد أولاد الإمام 710هـ/1311م التابع للمدرسة ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي الذي أسّسه أبو حمّو موسى الثاني قرب المدرسة اليعقوبية، ومسجد سيدي الحلوي الذي بناه أبو عنان المريني، ومسجد الشيخ أبي مدين شعيب الغوث الذي بناه أبو الحسن المريني، بحي العباد رفقة المدرسة سنة 1374م حيث يمثلان الطراز العمراني العربي الإسلامي بالمدينة.

إضافة إلى المكتبات العامة في تلمسان ومنها مكتبة الجامع الأعظم التي أنشأها السلطان أبو حمّو موسى الثاني عام (759هـ/1359م) على يمين محراب الجامع الأعظم، والمكتبة الثانية التي بناها أبو زيان محمّد بن أبي حمّو الثاني عام (494هـ/1394م)، والتي عرفت كتب قيمة نتيجة ازدهار حركة النسخ وجهود العلماء. كما كانت تعقد في تلمسان مجالس علمية في قصور الملوك يحضرها كبار العلماء والأدباء لقراءة كتب الفقه والحديث ولمناقشة بعض القضايا، وتيسير إقامة العلماء وإكرامهم وتشجيعهم على التأليف ومن أشهر المؤلفات الشريف التلمساني الذي ألف "كتاب المفتاح"، ويحي بن خلدون الذي ألف "كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد"، كما نجد الحافظ التنسي في كتابه "نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان".

ومن العلوم التي كانت منتشرة العلوم الدينية، كما برز بها في هذا المجال عدة علماء منهم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680هـ/1280م)، والسنوسي الذي ولد بتلمسان علم العلوم القرآنية وعرف بإنتاجه الغزير، وسعيد العقباني فقيه مارس القضاء بتلمسان (ت 846هـ/1476م)، أمّا في العلوم اللسانية والاجتماعية نجد أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني ولد عام (650هـ/703هـ) (1250م/1303م)، وأبو عبد الله محمد بن أبي البناء التلمساني الذي كان فقيها وأديبا وشاعراً، أمّا في العلوم الطبيعية التي تشمل التجيم والرياضيات والكيمياء والطب فقد عرفت ازدهاراً كبيراً بسبب ما عرفته الدولة الزيانية من تطور، ومن بين الذين اشتهروا في العلوم نجد الأيولي الذي ولد بتلمسان ونبغ في الرياضيات ومن تلاميذه المقري، وأبو عبد الله محمد بن علي النجار التلمساني (ت 749هـ/1349م).

## 2- مدينة بجاية:

تعدّ حاضرة ثقافية بارزة في العصر الوسيط خاصة في الفترة الحمادية ولم تفقد مكانتها إلا مع الغزو الإسباني لها عام 1510م، وقد أهلتها لذلك مجموعة عوامل منها:

- تشجيع الأمراء للعلماء وسعيهم للعمل على نشر الأمن والاستقرار وهو عامل أساسي لتطور المدن وازدهار اقتصادها وانتشار الثقافة بها، خاصة في عهد الحماديين، حتى أطلق عليها "كعبة الشعراء" كونها كانت مقصداً للطلاب من مختلف المناطق المغربية. وقد اهتم الحكام على ذلك بالترجمة ونقل الكتب وجعل التعليم إجباري واستقدموا العلماء من خارج البلد.

- دور العامل الاقتصادي وأثره في ازدهار الحياة الثقافية، فقد شهدت المدينة رخاء اقتصادياً بعد انتقال الحماديين إليها.

- هجرة الأندلسيين إلى المنطقة، خاصة بعد سقوط غرناطة 1492م، أين نقل العلماء والمتصوفة تراثهم الفكري والحضاري، حيث كانت المدينة قبل دخولهم تقتصر في تعليمها على تحفيظ القرآن وتعليم مبادئه، ولكن بعد مجيئهم واهتمامهم بالتعليم تطورت

الحياة الثقافية، فظهرت بها الكثير من المراكز التعليمية التي كانت حافلة بطلاب العلم، ومن بينها الكتاتيب، والمساجد والمدارس التي كانت تلقى فيها دروس العلم، فالمسجد لعب دور تعليمي كبير وهام وكان كل مسجد يحتوي على مدرستين، ومن هؤلاء العلماء ابن محرز البلسني ومحمد بن إبراهيم الأبلي سنة 1356م، لكن نشاطهم تراجع في المدينة عند توليه للمناصب السياسية في الدولة الحفصية مما جعلهم يتعدون عن الحياة الثقافية.

ومن المراكز التعليمية نجد ما يسمى "بالشريعة" عهد الدولة الحمادية، والتي حلت محلّ الكتاب وهي عبارة عن خيمة مدرسة تنتشر خاصة في البادية، كما أنّها مصلى كبير ومكان لتعليم أطفال البادية، كما اهتمت الدولة الحمادية بإنشاء المكتبات وأشهرها المكتبة الموجودة بجامع الناصر بالقلعة، ونجد المسجد الأعظم الذي يعد أشهر مؤسساتها التعليمية حيث كان يقصده الطلبة بكثرة نظرا لشهرة المدرسين به مثل أبو إسحاق بن العرافة الذي درس فيه علم الدراية (الحديث) وعلم الرواية، فالمدينة كانت مليئة بالكتب المحمولة من كافة الأقطار من خلال اقتناء الكتب وتجميعها في المكتبات العامّة والخاصة. أمّا بالنسبة للزوايا بمدينة بجاية فنجد زاوية الشيخ يحيى العديلي (ت 876هـ/1476م)، التي تأسست على يده، واهتمت بتدريس مختلف العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وبعملية النقل والتأليف والنسخ، وزاوية الشيخ حساين التي تأسست في أواخر القرن 8هـ/14م، كما نجد زاوية الشيخ السعيد أحسين بصدوق في القرن 9هـ/15م، وزاوية أبي زكريا الزواوي التي يدرس بها الفقه والحديث.

كانت تدرس في بجاية الكثير من العلوم من بينها العلوم النقلية وتشمل القرآن والسنة والتفسير والحديث والفقه والتصوف، ومن أبرز علماء الفقه هم أحمد بن عثمان عبد الجبار الملياني، وأبو يوسف عبد السلام يعقوب الزواوي البجائي (ت 690هـ/1290م)، الذي كان يدرس الفقه، ومن بين العلماء الوافدين إلى بجاية أبي عبد الله محمد المقرئ (ت 759هـ/1359م)، كما نجد العلوم العقلية ومن بين فروعها الأدب

واللغة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا، إضافة إلى العلوم التجريبية التي كانت لها أهمية كبيرة في العصر الحمادي كالطب وعلوم الفلك.

كما برز العديد من العلماء الذين بلغت شهرتهم الأفاق، ومنهم مروان بن علي الأسدي المعروف بالبوني، الذي عرف بالصلاح والتقوى، وعبد الحق البجائي كان شاعراً واهتم بالعلوم الدينية، ومن مؤلفاته "كتاب العاقبة" و"كتاب الأحكام الكبرى"، وهذا كله يدل على أن مدينة بجاية في العهد الحمادي مثلت مرحلة التحضر والانفتاح الثقافي والعلمي. وأبو الحسن الزواوي، الذي درس في الجامع الأيوبي بالمشرق، له الدرة الالفيه في اللغة العربية...، نجد كذلك أبو القاسم البجائي (ت1276م) اشتهر بالطب، من طلبته الغبريني، له نظم في بعض الأدوية، أبو الروح الزواوي (ت1342م)، تنقل بين عدة مدن عربية، درس بالأزهر وتولى نيابة قضاء دمشق والقاهرة، له إكمال الإكمال في 12 مجلد، محمد بن يحيى الباهلي البجائي (ت1321م) قاضي بجاية، عمران المشدالي (ت1345م) نبغ في عدة علوم، ودرس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان، عهد أبي تاشفين، نجد أبو الفضل المشدالي (ت1461م)، أبو القاسم المشدالي (ت1460م)... وغيرهم.

### 3- مدينة قسنطينة:

تعتبر هي الأخرى من حواضر المغرب الأوسط عهد الحفصيين، حيث كانت ملتقى العلماء والشعراء، لذلك قصدها الطلاب والعلماء من مختلف الحواضر العلمية المغاربية والأندلسية، وكغيرها من الحواضر كان بها مساجد منها المسجد الأعظم الذي ذكره الوزان عندما زارها في ق 10هـ/16م رفقة مدرستين و 3 أو 4 زوايا، منها الزاوية الملاية، التي أسسها الشيخ أبو يعقوب بن عمران البويوسي عام 717هـ/1317م.

شهدت المدينة صراعات وتنافس بين علمائها، الذين أصبحوا يسيطرون على شؤون البلاد، مثل عائلة بن عبد المؤمن التي كانت ببسكرة واستدعاها أولاد صاولة لنشر العلم بقسنطينة ق 9هـ/15م، ثم تدرجت حتى أصبحت ذات سلطة دينية كبيرة ونالت لقب

"مشيخة الإسلام"، أما الإمامة والقضاء والخطابة فقد تولته أسرة ابن باديس، حيث نجد حسن بن باديس قاضياً في تونس ثم في قسنطينة.

أنجبت علماء اشتهروا بالعلم من بينهم المحفوظ القسنطيني الذي لم تذكر كتب التاريخ والتراجم تاريخ ميلاده، وما يقال عنه أنه أول من أدخل علم الفلك، وأبي زيد الحاج عبد الرحمن بن عبد الله القسنطيني الذي قيل عنه أنه العالم العلامة والبحر الفهامة، وكان يعمل على الشعر الملحون، وتطرق إلى علم الفرائض، وعلي بن أبي القاسم محمد أبو الحسن القسنطيني، وأبو علي حسن بن علي الفكون الشاعر الذي وصلت شهرته الأندلس، واحمد بن الخطيب (ابن قنفذ) له العديد من المؤلفات في التراجم والأنساب والرحلات والتاريخ أشهرها "الفرسية في مبادئ الدولة الحفصية" و"أنيس الفقير وعز الحقيير".

#### 4- مدينة وهران:

عرفت مدينة وهران ازدهاراً في الميدان الثقافي خاصة في القرن 9هـ/15م، عندما استقر بها محمد بن عمر الهواري الذي يعتبر من كبار العلماء في عصره، وبعد وفاته خلفه تلميذه سيدي إبراهيم التازي الذي ساهم في تطور الحركة الفكرية، من أهم مراكزها التعليمية مسجد سيدي محمد بن عمر الهواري المغراوي بني القرن 14م الذي يعد من أشهر علمائها وصلحائها، تتلمذ على مشايخ في بجاية وفاس برع في العلوم والسياسة في العديد من البلدان، إضافة للمسجد وجدت زاوية باسمه تدرس فيها مختلف المعارف التي أخذها هذا الولي عن شيوخه كما نجد زاوية إبراهيم التازي بنيت سنة 866هـ/1461م، خرج منها العديد من العلماء منهم الحافظ التنسي والإمام السنوسي، ولقد تراجعت مكانة وهران الثقافية بسبب الغزو الإسباني مما أدى إلى قتل الكثير من علمائها ونهب مكتباتها التي كانت تحوي الكتب النفيسة، كما تحولت بعدها المدينة إلى مركز عسكري مسيحي.

## 5- مدينة الجزائر:

احتوت على العديد من المراكز العلمية كالمساجد والزوايا التي كانت مقصدا لأهل الأندلس وإفريقيا، منها المسجد الكبير الذي بني عهد يوسف بن تاشفين المرابطي، أما أشهرها زاوية بها هي سيدي عبد الرحمان الثعالبي الولي الصوفي، التي بنيت في ق15م، له عدة مؤلفات منها "جامع الهمم في أخبار الأمم" و"الأنوار في آيات النبي المختار"، وزاوية احمد بن عبد الله الجزائري الذي سار على درب شيخه الثعالبي. وقد اشتهر بها العديد من المساجد خاصة المسجد الكبير والزوايا، والعديد من العلماء مثل؛ عبد الرحمان السطاح، عبد الله السكات، محمد القلعي، أبي البركات الباروني، عبد الرحمن الثعالبي واحمد الجزائري صاحب المنظومة المعروفة "بالجزائرية" التي وصف فيها مدينة الجزائر. لقد تعرضت هذه الحواضر إلى مجموعة من العوامل أثرت على الحياة الثقافية أهمها: الغزو الخارجي الإسباني للمدن الساحلية، الذي انعكس سلبا على الجانب الثقافي أدى إلى قتل الكثير من العلماء وهجرة بعضهم بسبب الاستيلاء على هذه المدن وتدميرها.

## - المصادر والمراجع:

- بوسماحة عبد الحميد ، تلمسان ثقافة وتاريخ، منشورات الرياض، تلمسان، 2011م
- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط، ط02، د.م.ج، الجزائر، 2009م، ج01.
- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ج1.
- التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح. محمود بوعبيد، م.و.ك، 1985م
- الجزائري محمد الحاج عيسى، " دور ملوك بني زيان في خدمة العلم بتلمسان"، مجلة انثروبولوجية الأديان، مجلد 09، عدد 01، تلمسان، 013 .
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ج1.
- حاجيات عبد الحمي، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الأوسط، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م .
- حساني مختار ، الحواضر والأمصار الإسلامية، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2011م.
- ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، تح. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1980م
- بن الديب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1.
- سيدي موسى محمد الشريف، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، تقديم محمد الأمين بلغيث دار كرم الله، الجزائر، 2011م.
- العبدري، رحلة العبدري، تح. تق. علي ابراهيم كروي، ط2، دار سعد، 2005م.
- عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002م.

- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- المزارى ابن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن 19م، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الوسيط، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت 1980م
- الوزان الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا، ط2، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2.

## المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني

"1518-1830م"

لقد تميزت مراكز التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني بتعددتها سواء في الحواضر أو في الأرياف:

### 1- المراكز التعليمية:

أما فيما يخص المراكز التعليمية، فقد كانت متنوعة ومختلفة في مناهجها ودروسها حسب كل مستوى فنجد:

#### 1-1- الكتاتيب:

الكتاب أو المسيد، تصغير لكلمة مسجد؛ التي تمثل المدرسة الابتدائية في وقتنا الحالي، يسمى في الريف "الشريعة، كان الغرض من إنشائها؛ الحفاظ نظافة المساجد وتجنبها ضوضاء الأطفال".

بلغ عدد الكتاتيب نحو 3 آلاف كتاب، منها حوالي مائة كتاب بمدينة الجزائر وحدها وهو ما أشار إليه "الجامعي الفاسي" بقوله: «... وقد كان بهذه الحاضرة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد، حيث أنّ المحل لا يسع للتلاميذ يجعلون فيه سدّة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن العظيم».

لقد خصص الكتاب لحفظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، حيث يضم الكتاب الواحد بين 15 و25 صبيا، يقضون في الكتاب ثلاثة أو أربعة أعوام، ومن يرغبون في مواصلة الدراسة يبقوا سنين أخرى لحفظ القرآن عن ظهر قلب أو يلتحقون بالمدرسة أين يتلقون تدريسهم في الفقه والتوحيد والنحو على يد العلماء من أئمة ومفتيين وقضاة هذا في الحواضر.

أما بالريف فيلتحقون غالبا بالزوايا لإكمال دراستهم الثانوية، ونتيجة انتشار الكتاتيب في كامل البلاد، الأمر الذي أدهش الفرنسيين عند احتلالهم للجزائر، ففي تقرير للجنرال "دوماس" (Daumas) جاء فيه: "أن التعليم الابتدائي في الجزائر كان منتشرًا.... فاتصالاتنا بالأهالي في الأقاليم الثلاثة أظهرت أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة"، كما أشارت الباحثة "يفون توران" (Yvonne Turin) في كتاب "مجابهاث ثقافية: إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية "الكتاب" وكانوا يستطيعون قراءة القرآن في صلواتهم".

### 1-2- المساجد:

فقد كانت منتشرة بكثرة منها مساجد الخطبة الخاصة بصلاة الجمعة والعيدين، ومنها المساجد التي تؤدي فيها الصلوات الخمس، وغالبا ما تنسب هذه المساجد إلى مؤسسها من سياسيين أو عسكريين أو تجار، بخلاف الزاوية التي غالبا ما تنسب إلى الأولياء الصالحين، لأن بناءها كان نتيجة المبادرات الفردية، لأن الدولة لم تهتم بذلك، بلغ عددها بمدينة الجزائر حسب "فونتر دي برادي" (Venture d.P) 12 مسجدا جامعا وعدد من المساجد الصغيرة، أشهرها الجامع الكبير، وأكثرها أوقافا، في حين "دوفو" (Devoulx) يشير إلى أن عدد مساجدها بلغ سنة 1246هـ/1830م كان 13 جامع خطبة و109 مسجدا، لكن "شوفال" (Shuval) يذكر أن بها 14 جامع خطية، أما قسنطينة عهد صالح باي كان بها 75 مسجدا وجامعا، إضافة إلى 07 مساجد خارج المدينة، منها 05 جوامع للخطبة حسب الورثيلاني الذي زارها في القرن 18م. في حين بلغ عدد مساجد عنابة 37 مسجدا أشهرها مسجد "سيدي مروان"، أما أشهر مساجد بجاية هو المسجد الذي بناه مصطفى باشا، إضافة إلى المسجد الذي بناه أحمد القلي بالقل سنة (1170هـ/1754م) اعترافا منه بمساعدة أهلها عندما كان آغا.

كما عرفت حواضر الغرب الجزائري التي استفادت من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية والثقافية، حيث شيد المسجد الكبير بمعسكر المعروف باسمه، والذي يعتبر من أروع وأهم مساجد الإيالة كما يوجد بها مساجد أخرى، مثل مسجد السوق والمسجد العتيق، وقد بلغ

عدد مساجد تلمسان 50 مسجداً أغلبها صغيرة، لكن هناك من يذكر أن عدد مساجدها بلغ 60 مسجداً.

لكن رغم كثرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة، لأنه لم تكن لها أوقاف لصيانتها، ونتيجة إهمال الحكام صيانتها، فنجد مثلاً أن أحمد ساسي البوني يشتكي خراب مساجد عنابة للداي محمد بكداش، فقال: "خربت المساجد وقل فيها الساجد"، كما يقدم الورثياني وصفاً لبعض المساجد في القرن 18م بهذه العبارات "قلا تكاد ترى في مدائنهم مسجداً عظيماً قد أحدث بل ولا مهتماً قد جدد ولا واهياً قد أصلح"، لكن في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي برزت محاولة البعض منهم النهوض بأمور المساجد مثل: صالح باي ومحمد الكبير اللذان عملا على صيانتها وحفظ أوقافها، التي يعود مردودها لصالح العلم وللقائمين عليها.

### 1-3- الزوايا:

احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة بالأرياف، نتيجة غياب المؤسسات الثقافية الأخرى وهو ما سمح لها بالقيام بوظيفة تعليمية إضافة إلى وظيفتها الدينية. والملاحظ هو انتشار الزوايا سواء كانت زوايا حرة لا تنتسب إلى ولي أو طريقة صوفية، يدير شؤونها مجلس يتكون من الطلبة، زوايا تخضع في تسييرها للشيخ المؤسس أو خلفه، والتي نجد فيها النوع الخلواتي وغير الخلواتي، فالأول يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار الغيبية لهم مريدين وورد خاص بهم، ويسمون بالطرقيين ويقومون "بالحضرة" لهم فروع في كامل أنحاء البلاد، أما النوع غير الخلواتي لا يدعي شيوخه معرفة الغيب، وهم أيضاً لهم ورد خاص.

لقد مثلت الزاوية المسجد والمدرسة في آن واحد، فهي مقر للعبادة والتدريس، إضافة إلى كونها مأوى لعابري السبيل، كما عملت على دمج فئات المجتمع بغض النظر عن الانتماء العرقي أو الجهوي أو حي الإقامة أو المهنة، كما نجدها جمعت في تعليمها بين التربية الروحية والعسكرية كونها مبنية على نشر الدعوة الصوفية والتهيؤ للجهاد، فهي بديل متطور للرباط.

فقد أحصى "دوفو" سنة 1830م، بمدينة الجزائر 32 ضريحا و12 زاوية، منها ما هو منسوب إلى الأفراد كزاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الولي دادة، وزاوية عبد القادر

الجيلاني وزاوية شيخ البلد، وزاوية القشاش ومنها ما هو منسوب إلى الجماعة كزاوية الأشرف وزاوية الأندلس. لكن أغلبها تعرض للهدم بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، أما مدينة قسنطينة فقد وجد بها 16 زاوية، أشهرها زوايا الأسر العلمية مثل: زاوية أولاد الفكون وزاوية بن نعمون وزاوية أولاد جلول، تلمسان بلغ عدد الزوايا بها إلى أكثر من 30 زاوية أشهرها زاوية عين الحوت، إضافة إلى عدة زوايا أخرى بالغرب الجزائري كالزاوية الموجودة في جبل بني راشد، والتي عملت على نشر العلم في الريف، وقد تخرج منها عدد من العلماء والفقهاء.

الملاحظ أن منطقة الزواوة تعد أغنى المناطق بالزوايا، حيث وصل عددها إلى 50 زاوية أشهرها زاوية "تيزي راشد" المعروفة بزاوية "ابن أعراب"، وهي الزاوية التي درس بها الباي محمد الذباح، وزاوية سي علي الشريف بأقبو وزاوية آث منصور ببني جناد وزاوية الأزهرية بآيت إسماعيل، هذا دون أن نغفل زوايا الصحراء كزاوية عين ماضي التي وصل تأثيرها حتى الحدود الجزائرية المغربية. وزاوية القادرية بالقيطنة، وزاوية طولقة، وغيرها من الزوايا الأخرى التي كان لها تأثير بارز على الحياة الثقافية والاجتماعية، بحيث استطاعت أن تضم مختلف فئات المجتمع، وتشكل في نفس الوقت الملاذ الآمن ضد الغزو المسيحي، ثم ضد السلطة العثمانية فيما بعد.

كان عدد الطلبة المتمدرسين بزاوية سيدي التواتي ببجاية نحو 200 طالب، وزاوية جماعة الصحاريح، ببلاد القبائل، والتي لازالت قائمة إلى يومنا هذا، كان يدرس بها 500 طالب وتقوم بالإنفاق عليهم كلهم، أما زاوية نقاوس فهي تتفق على 200 طالب، أما زاوية سيدي منصور، فقد كان يقصدها من 100 إلى 150 طالب وزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، والتي تميزت بمستوى تعليمي عالي يدرس بها 125 طالبا ويدرس بها 25 مدرسا، في حين زاوية أسرة المجاجي (أبهلول) بنتس كان يقيم بها نحو 300 طالب ويدرسون مختلف العلوم الدينية من فقه وحديث تفسير وعلوم اللغة.

#### 1-4- المعمرات:

هي معاهد دينية لتعليم القرآن والعلوم عموما انتشرت في البوادي بمنطقة القبائل، وحسب "بوعزيز" فهي تشبه أحيانا الكتابيب القرآنية وأحيانا تشبه الزوايا غير خلواتية، تختلف في

تسييرها عن الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها، أما المعمرة يخضع المنتميين إليها لقوانين داخلية محكمة، وينقسم طلبتها إلى طبقات: القداش وهم التلاميذ الصغار، ثم الطلبة وهم فوق القداش سنا وثقافة، ثم المقدمون والوكلاء والشيخ الكبار، وهم أعلى طبقة، المسؤولة عن تسيير المؤسسة، التي يرأسها شيخ مسن، يساعده عدد من كبار الطلبة والمقدمين والوكلاء.

### 1-5- المدارس:

تأسست المدارس في المغرب من طرف الموحدين، حيث أدخلها يعقوب بن يوسف عام 580هـ/1184م، وكان ظهورها لعدم استطاعة المسجد القيام بكل تلك المهام، وغالبا ما كانت تشيد بجوار المساجد، لقد عرفت المدارس انتشارا واسعا خلال العهد العثماني حيث لا يكاد يخلو حي من أحياء المدن من هذه المدارس، الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة مدارسها وقلة الأمية بين سكانها.

قامت المدارس في المدن بنفس الدور الذي كان للزوايا في الريف، وقد انتشرت في مختلف حواضر الجزائر، فمدينة الجزائر وحدها كانت بها 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذاً، منها المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبوراس الناصري واعتبرها مركزاً للتعليم العالي، أما مدارس قسنطينة فقد عرفت هي الأخرى إشعاعاً ثقافياً، أشهرها المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي عام 1190هـ/1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاماً خاصاً، كما أنه أسس عدة مدارس في "عنابة وجيجل" وكان يلحق بكل مدرسة مسجداً وكتاباً ومكتبة، وقد قدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين بـ90 مدرسة، في حين هناك من يذكر أن عددها بلغ 86 مدرسة، يدرس بها 1350 تلميذاً، أما تلمسان فقد وجد بها 50 مدرسة صغيرة مخصصة لـ12000 أو 15000 نسمة، إضافة إلى مدرستين للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام يتردد عليهما حوالي 2000 تلميذ و600 طالب، وتعتبر المدرسة المحمدية في معسكر أكبر مدارس بايلك الغرب، وقد أشار إليها "ابن سحنون" بقوله: "كاد العلم أن يتفجر من جوانبها".

## 1-6- الرباطات:

وجدت منذ أوائل الفتح الإسلامي، وقد عملت على حراسة الثغور إثر الحروب الصليبية، وبرز دورها أكبر نتيجة تكالبت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب الإسلامي والشمال الإفريقي، من طرف كل من صقلية وجنوبي إيطاليا وسردينيا، فأنشئت الأربطة والحصون لحراسة السواحل مثل رباط سوسة والمنستير وشفاقس وبنزرت وبونة وشرشال ورباط الفتح وغيرها.... كما أقيمت حتى في الصحراء على حدود بلاد السودان حيث أصبحت مراكز للغزو والتوسع ونشر الإسلام في بلاد السودان وإفريقيا الغربية.

أ- لغة: يطلق الرباط على الخمس من الخيل، وربما سميت الخيل نفسها رباطا وهو المواظبة على الأمر والمرابطة هي لزوم ثغر العدو عملا بما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

وعملا بحديث الرسول (ص): «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها».

ورغم أنها تشبه الزوايا نوعا ما، إلا أنها لم تكن تابعة لأي طريقة، بل كانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية، وجل مؤسسيها أو المشرفين عليها كانوا علماء دين. وإضافة إلى كونها مركزا لحراسة الحدود والجهاد، كانت تقوم كذلك مقام المؤسسات التعليمية، حيث كانت حياة المرابطين داخل الرباط مقسمة بين العمل العسكري والتعلم والتفقه في الدين تحت قيادة شيوخ وعلماء، وبهذا يكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت، حتى هناك من العلماء من كان يقصدها بغرض التعلم والتعليم، "قالورثيلاني" يقول: «كنت كل عام أصوم فيها رمضان (بجاية) ناويا للرباط، مع تعليمي الطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم...».

ومن أشهر الأربطة، تلك التي كانت بوهران، والتي لعبت دورا كبيرا في تحريرها، بعدما عملت على تضيق الخناق على الأسبان، واستنزاف طاقتهم الحربية وإرغامهم على الاستسلام، خاصة منها رباط جبل مرجاجو ورباط جبل المائدة ورباط الفتح، الذي أحياه البايع محمد الكبير

خلال الفتح الثاني لوهران عام 1792م، بحيث جعل التعليم مقتصرًا على الرباط، وهذا تشجيعًا منه لالتحاق به من أجل الجهاد وقد وصفه ابن سحنون بقوله:

ورتب المرابطين في الجبل      من كل حبر عن هوى الموت جبل  
وكل مقدم وهمام وبطل      منذ بدا باد الضلال وبطل  
مؤمرا شيخنا الجلالي      محمد الأحق بالإجلال

وقد شارك في هذا الرباط عدة علماء منهم الطاهر بن حواء ومحمد المصطفى بن زرفة، والشيخ محمد بوجلال الذي كان يرأسه حيث كانوا يدرسون ويحاربون.

بهذا فالأرطة لعبت دورًا مهمًا في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية، إلى جانب دورها الدفاعي العسكري، حيث برزت كمؤسسة عسكرية ودينية، تأسست بالدرجة الأولى من أجل الدفاع عن الحدود مع أدائها وظيفة التعليم، أين كان الطلبة جنودًا وعلماء في نفس الوقت، وبعد انتهاء الغزو الأجنبي تحولت إلى مؤسسة دينية أخرى وهي الزاوية.

### 1-7- المكتبات:

لقد وجدت بالجزائر العديد من المكتبات، تحوي العديد من الكتب، وفي هذا يشير التمغروطي يذكر أن مدينة الجزائر في القرن 16م كانت غنية بالكتب "الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا"، أما حواضر بايلك الغرب اشتهرت بها مكتبات تلمسان ومعسكر مازونة بما تضمنته من مخطوطات ومؤلفات وقد وصل عدد المكتبات بها 20 مكتبة، منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة المحمدية بمدينة معسكر، والشيء نفسه يقال عن مدينة قسنطينة التي كانت زوايا وبيوت أسرها تعج بالمكتبات التي حوت كتب المشاركة والأندلسيين، إضافة إلى المؤلفات المحلية خاصة في عهد صالح باي، الذي وفر الاستقرار وشجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة، وحسب ما أورده "قفاريل" (Gaffarel) أن أهلها كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات إن وجدت. وتجدر الإشارة في هذا الإطار أنه كان في الجزائر نوعان من المكتبات منها العامة والخاصة، فالمكتبات العامة كانت ملحقة بالمساجد والمدارس والزوايا، فمساجد الخطبة كانت تحتوي على خزائن الكتب أوقفت على العلماء والطلبة، وقد ذكر ابن المفتي أن الجامع الكبير

على عهده وجد بها حوالي 300 مجلد، أما المكتبات الخاصة التي تعود للعائلات ذات الشهرة العلمية، وهي مكتبات ضخمة نتيجة استمرار العائلة لعهد طويل، مثل عائلة الفكون التي تملك أضخم مكتبة وهي "مكتبة حمودة الفكون"، التي يوجد بها 2500 مجلد، فمدينة قسنطينة وحدها وجدت بها 17 مكتبة خاصة، أما ببايلك الغرب فقد اشتهرت مكتبة أبوراس الناصري التي حسبها عليه أحد بايات وهران وسماها مكتبة "المذاهب الأربعة"، وكان لوالد "الورثيلاني" خزانة كتب لم توجد عند غيره.

ويرجع تنوع الكتب في مكتبات الجزائر وكثرتها؛ إلى انتشار حركة التأليف والنسخ، فبايلك الغرب ازداد عدد الكتب خاصة بفضل عملية النسخ التي شجعها الباي محمد الكبير، والذي كان يكافئ من ينسخ كتابا بسخاء، وفي هذا يقول ابن سحنون «كم تأليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به وافر بره»، حيث أمر بعض الطلبة بجمع فتاوي العلماء في جوائز الملوك وكافأهم بـ70 دينار، كما كافأه بـ10 سلطان لاختصاره كتاب الأغاني و50 سلطان لجمعه طب القاموس، كما شجع العلماء على التأليف في شتى المعارف، حيث أمر كاتبه ابن زرفة بتدوين أحداث فتح وهران سنة 1772م، إضافة إلى هذا كان الناس مهتمين بحبس الكتب على المراكز التعليمية تقربا إلى الله، حتى أنه كان من يوقف كتابا في سبيل الله وهو جاهل بمحتواه.

إضافة إلى هذا كانت الكتب تصل إلى الجزائر من مصر والحجاز والأندلس، عن طريق الحجاج والعلماء الرحالة، منها محاولة حاج جزائري إغواء الجبرتي -حسب قوله- حتى يبيعه كتابًا في الفلك للسمرقندي، وبعد رفضه اشترى هذا الحاج نسخة منه لإبراهيم الزمردي بـ20 ريالاً إضافة إلى عدد كبير من الكتب، كما يذكر ابن حمادوش في رحلته عددا من الكتب التي اشتراها، وهو شأن متولي الجامع الكبير في الجزائر الذي اشترى كتبا وصلت قيمة الكتاب الواحد 600 دينار ذهباً وهذا في القرن 17م.

لكن شراء الكتب لم يكن دائما للاستفادة العلمية، بل كان عند البعض للتفاخر بها خاصة بين بعض العائلات، وحتى شيوخ القبائل كانوا يقلدون الملوك والسلطين في إنشاء خزائن.

وهناك بعض الكتب وصلت الجزائر عن طريق القضاة والمفاتي والدرابيش العثمانيين المرافقين للجند من اسطنبول، والذين غالبا ما كانوا يحملون مكتباتهم الخاصة معهم، كما

استفادت الجزائر من تراث الأندلسيين الذين هاجروا إلى الجزائر وجلبوا معهم كتباً كثيرة وهذا ما أشار إليه التمغروطي بقوله: "... وتوجد فيها (مدينة الجزائر) كتب الأندلس كثيراً".

إضافة إلى هذه المراكز الثقافية والعلمية، كانت الدكاكين التجارية تستعمل للشراء والبيع نهاراً وللمسامرات الأدبية ليلاً، وحتى منازل العلماء كانت مراكز يومية يتلقى فيها الطلبة الدروس، يضاف إلى هذا النوادي المنزلية التي تقام في منازل أعيان البلد، كالدائيات والبايات والقضاة والمفتي، حيث يجتمع عندهم العلماء لدراسة كتاب ما، فإبن ميمون كان له دار كالنادي يجتمع فيها العلماء كابن حمادوش وابن المفتي، إبن علي، وإبن عمار.

وتجدر الإشارة هنا بأن معظم الكتب الموجودة في هذه المكتبات كانت كتباً دينية في التفسير والحديث والفقه وغيرها، وهذا بحكم أن الثقافة خلال العهد العثماني كانت دينية أكثر منها أدبية أو علمية، كما أن الهدف من ذكر هذه المراكز لم يكن بغرض تبيان عددها بقدر ما كان الهدف هو إبراز الدور الذي قامت به من أجل خدمة الدين والثقافة.

## 2- الوقف ودوره في الحياة الثقافية:

يمثل الوقف أحد مظاهر الحضارة الإسلامية، ورمز التكافل الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية وعبر عقود من الزمن، وهذا نظراً لتأثيره على مختلف نواحي الحياة، والجزائر لا تختلف في هذا عن باقي دول العالم الإسلامي فقد شهدت هذه الظاهرة انتشاراً واسعاً خاصة في العهد العثماني.

### 2-1- تعريف الوقف:

أ- **الوقف لغة:** جمع أوقاف، يعني الحبس والمنع، وعند الفقهاء هو حبس العين على ملك الواقف أو على ملك الله، والتصدق بالمنفعة، ويقال وقف الأرض على المساكين أي حبسها.

### ب- الوقف اصطلاحاً:

- **عند الحنفية:** هو حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة على جهة الخير، وعليه لا يلزم زوال الموقوف عن ملك الواقف، ويجوز له بيعه أو الرجوع عنه، لأن الوقف عند أبي حنيفة جائز وليس لازم، ويصبح لازماً بشروط.

- **عند المالكية:** فهو حبس العين والتبرع بريعتها لجهة خيرية تبرعا لازما، مع بقاء العين على ملك الواقف مدة معينة من الزمان فلا يشترط فيه التأييد، لكن يمنع غيره من التصرف فيه، ويلزمه التصدق بمنفعته ولا يجوز الرجوع فيه.

- **عند الشافعية والحنابلة:** فهو حبس العين للانتفاع به مع بقاء عينه وقطع التصرف في رقبة العين من الواقف وغيره، مع الانتفاع به وصرف ريعه على جهة بر وخير تقربا إلى الله.

فالوقف هو صدقة جارية تبقى أبدية لما عينت له لا يجوز التصرف فيها بالبيع أو المصادرة أو باسترجاعها، فهو حبس الأصل وتسبيل المنفعة، عملا بما قاله النبي "ص" لعمر بن الخطاب لما غنم مئة سهم بخبير، فأتى الرسول "ص" فقال يا رسول الله إني أصبت مالا لم أصب منه قط، وقد أردت التقرب به إلى الله عز وجل، فقال له: «حَبَسِ الْأَصْلَ وَسَبَّلِ الثَّمَرَ». وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: أصاب عمر أرضا بخبير فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أصبت أرضا بخبير لم أصب مالا قط أنفس منها فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها».

## 2-2- أركان وأنواع الوقف:

الوقف أنواع وله أركان، كما له مقاصد كثيرة، كبقاء العقار والانتفاع به لمدة طويلة واستمرار النفع للواقف حيا وميتا، وهو يتم وفق مبدأ شرعي وبصيغة قضائية وبحضور الواقف والشهود مع تحديد قيمة الوقف وأغراضه ونوعية الاستفادة منه وانتقاله، مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الشهود والقاضي عليه، وبهذا يلتزم كل من الواقف والمستفيد بما جاء في العقد. ومن شرطه:

- الواقف: يشترط فيه؛ العقل، البلوغ، الحرية،
- الموقوف عليه: يشترط أن يكون أهلا للتملك حقيقة مثل؛ الفقراء، طلبة العلم، مسجد...
- الموقوف: أن يكون ممن يجوز الانتفاع به شرعا، وإلا فإنه باطل. وأن يكون ملكا للواقف، أن يكون تحت التصرف بشكل كلي غير شائع وقابل للقسمة. أن يكون معلوما أي يعين قدره ونسبته مثل نصف دار أو وقف كلي... لا يجوز حبس المجهول.

- صيغة الوقف: تختلف من وقف لآخر حسب رغبة الواقف. وتكون منفذا في حينه غير معلق بشرط كالبيع والهبة، كما يشمل العقد على صيغة التأييد، والإلزام فلا يصح تعليقه بشرط الخيار أو الرجوع

أما أنواع الوقف فهي:

- وقف خيري: يحبس على جهة ذات المنفعة العامة، مثل وقف أرض على مسجد، مستشفى، مدرسة...

- وقف أهلي (ذري):

يكون حبسا ابتداء على النفس ثم على الأبناء حتى ينقطع النسل، ليعود إلى مؤسسة خيرية، حسب ما ورد في وقفية السيد أحمد بن الحاج إبراهيم التي جاء فيها: «...أته حبس.... جلسة البيت المذكور ابتداء على نفسه... ثم بعد وفاته يرجع ذلك على ذريته... ثم على ذريتهم وذرية ذريتهم... فإن انقرض الجميع فيرجع ذلك من يوم على ضريح عبد الرحمن الثعالبي...».

وقد أنشأ الوقف في العالم الإسلامي لأغراض اجتماعية واقتصادية وعلمية، من خلال توفير المال والسكن وغيرها للطلبة والعلماء وتقديم المساعدات للفقراء والغرباء والأسرى وصيانة المنشآت التي حبست عليها مثل المساجد، الطرق، العيون، الأضرحة، الزوايا، وهذا دلالة على التكافل والتضامن الاجتماعي، ففي الجانب الثقافي اعتبر الوقف مصدر عيش المؤسسات الدينية وعامل نمو للمساجد والمدارس والكتاتيب والقائمين عليها من علماء وطلبة، وقد تمثلت هذه الأوقاف في الأراضي الزراعية والبساتين والمحلات التجارية، الحمامات المعدنية، المنازل ومصانع النسيج والأفران وحتى الكتب التي كانت تحبس من طرف الحكام أو الأهالي، حتى هناك من يشتريها وهو جاهل لمحتواها، ويضعها في المساجد صدقة جارية تقربا من الله، وتجدر الإشارة أن الوقف شهد خلال القرن 18م في الجزائر نموا كبيرا، نتيجة تشجيع العلماء على التحبيس خاصة على المذهب الحنفي، أو بسبب تعسف الحكام وسعيهم لمصادرة ممتلكات الأهالي الذين عملوا على تحبيس أملاكهم للحد من جور الحكام لمصادرة ممتلكاتهم.

كما سعي الحكام إلى تحييس أملاكهم فلا نكاد نجد باشا بقي في الحكم مدة طويلة نسبيا إلا ووضع أوقافا لما بناه من مسجد كان أو زاوية، كما أنه كان على كلا المذهبين الحنفي والمالكي، ومن كل الطبقات ومن كلا الجنسين.

ونتيجة لتكاثر عدد الأوقاف ونظرا للإهمال الذي طالها عمدت السلطة العثمانية إلى إنشاء جهاز إداري محلي من أجل تنظيمها وهيكلتها، يتولاه المفتي وينظر في أموره المجلس العلمي، أشهرها ما قام به صالح باي بعد التقصير والضرر الذي لحق بها، حيث وضع للأوقاف أربعة سجلات واحد عند صاحب بيت المال، والثاني عند شيخ البلد والثالث والرابع عند القاضيين الحنفي والمالكي، كما وضع قانون يحاسب الوكلاء كل ستة أشهر وفائض الأوقاف يتصرف به العلماء المنعقد بهم المجلس العلمي كل سنة لصرفه لشراء عقار آخر.

### 2-3- المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال العهد العثماني:

#### أ- مؤسسة الحرمين الشريفين:

شكلت أغلب الأوقاف الخيرية، نظرا للمكانة والمنزلة التي خص بها أهل الجزائر البقاع المقدسة، امتلكت سنة 1771م 74 منزل و76 مخزن و81 علو حسب إحصاء 1771م وتشارك مع مؤسسة أهل الأندلس في 62 وقف، أما مع الجامع الكبير فتشارك معه في 69 وقف، أما سنة 1835 بلغت 1558 وقف أي ¼ مجموع العقارات المحبسة بالجزائر بمدخول سنوي، 43.222.70 فرنك، منها 840 منزل، 258 دكان، 33 مخزن، 82 غرفة، 03 حمامات، 11 كوشة (فرن)، 04 مقاهي، 57 بستان، 62 مزرعة، 06 طاحونات، فندق، 201 إيجار بمردود قدر بـ43.22270 فرنك، بمجموع 1558 عقار أي ثلاثة أرباع مجموع العقارات المحبسة بمدينة الجزائر.

كانت عوائدها توجه بالدرجة الأولى إلى فقراء مكة والمدينة ثم إلى المحتاجين بالجزائر، لذلك مثلت هذه المؤسسة الوجه السياسي للجزائر في العالم الإسلامي، كما توجه لعنق الأسرى المسلمين، كما أنها تنفق على ثلاث مساجد حنفية؛ وهي مسجد مغرين، جامع ميزومورطو جامع علي بتشين.

## ب- مؤسسة الجامع الأعظم:

احتلت المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين الشريفين، بلغت أوقافها سنة 1830م 1558 وقفا بمردود سنوي قدر بـ43222,70 فرنك، ولهما أوقاف مشتركة قدرت بـ69 وقفا، ويشرف على هذه المؤسسة المفتي المالكي والوكيل، بلغت أوقاف هذه المؤسسة قبل الاحتلال الفرنسي 550 وقفا مقارنة بأوقاف المساجد الحنفية التي بلغت أملاكها 331 وقفا. يصرف مردودها على 92 مسجدا مالكيًا بمدينة الجزائر، أشهرها أوقاف الجامع الكبير الذي بدأ التحسيس به منذ عام 1541/1540م حيث كان رصيده حسب واحدًا ليرتفع بعد 60 سنة إلى أي سنة 1600م إلى 13 حبسا، أما سنة 1800م وصل عدد أوقافه 157 حبسا، وإلى غاية 1841م وصل عدد أحباسه 227 حبسا، وحسب تقرير فرنسي عشية الاحتلال الفرنسي بلغت عدد أوقافه 285 وقفا، في حين هناك من يذكر بلغت أوقافه 492 وقف بمردود سنوي قدر بـ12000 فرنك سنة 1830م، ويستفيد من مداخيل كرائها إمامان و19 مدرس و18 مؤذن و8 حزابين و13 قيما (خدام)، بالإضافة إلى أعمال الصيانة ومن فائض عائدات أوقافه بنيت بقربه زاوية المسجد الكبير سنة 1039هـ/1630م وفيها مسجد دون مئذنة ومدرسة وزاوية ذات طابقين للمدرسين والطلبة.

## ج- أوقاف سبل الخيرات:

أسسها شعبان خوجة سنة 999هـ/1583م وهي مخصصة للإتفاق على المساجد الحنفية بمدينة الجزائر، والتي يبلغ عددها 08 مساجد من مجموع 14 مسجدا حنفيا، وهي الجامع الجديد، جامع صفر، جامع دار القاضي، جامع الشبارلية، جامع القصبية، جامع شعبان خوجة، جامع، كتشاوة، جامع السيدة، بلغ عدد أوقافها 331 حبسا منها 119 ملكية عقارية و212 عناء، مدخولها السنوي 16000 فرنك، حيث تبلغ نفقاتها السنوية 14583 فرنك سنويا، مقابل مدخول يقدر 16000 فرنك. وترجع كثرة أوقافها رغم قلة عدد المساجد الحنفية إلى غنى الأتراك والكراغلة، كان يشرف عليها المفتي الحنفي، ويساعده 11 موظفا.

تشرف هذه المؤسسة على الأوقاف الموجهة للفقراء الأحناف والطلبة والعلماء، ومن فائض مردودها تم بناء المسجد الجديد سنة 1070هـ/1660م كما أنها تدفع مرتبات حوالي

88 طالب ملحقين بالمساجد التابعة لها، في حين وجدت مساجد حنفية لها أوقاف خاصة بها كجامع ميزومورطو الذي كان له 130 وقفا، جامع عبيد باشا 134 وقفا، جامع علي باشا 142 وقفا، جامع خضر باشا 139 وقفا سنة 1184هـ/1767م.

#### د - أوقاف الأولياء والأشراف:

بلغ عدد أوقافها بمدينة الجزائر 305 وقفا منها 214 خاص بالأضرحة و 91 وقفا للزوايا، تتوزع على تسعة أضرحة مشهورة من بين 19 ضريح منها 18 ضريح بمدينة الجزائر أشهرها أوقاف سيدي عبد الرحمان، التي بلغ عددها بداية الاحتلال الفرنسي 82 وقفا منها 13 معطلا، تدر سنويا 6000 فرنك وهذا سنة 1834م، وتأتي بعدها زاوية الولي دادة وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري، وسيد الجامعي ب 25 وقفا وسيدي محمد بن عبد الرحمن بوقبرين بالحامة، وسيد أحمد الكبير بالبليدة وسيدي علي بن المبارك بالقليلة وسيدي الغبريني بشرشال وسيد احمد بن يوسف الملياني بمليانة....

أما بالأرياف وخارج مدينة الجزائر فكانت زوايا الريف لها أوقافا (أراضي) يحرثها الناس ويعتوا بها ومردودها يستعمل لصيانة الزاوية ودفع أجور المدرسين ومعيشة الطلبة، فنجد مثلا زاوية سيدي علي مبارك بالقليلة كانت تملك عقارات وأراضي، وبمنطقة القبائل نجد عدة زوايا منها زاوية سيدي علي أوموسى، التي لها أوقاف كثيرة منها 480 شجرة زيتون و 340 شجرة تين وعدد من الأراضي، أما زاوية الحداد بصدوق كانت لها أراضي وأملاك كثيرة منها: 52 ضيعة فلاحية، و 6 بساتين و 14528 شجرة مثمرة أغلبها زيتون، 06 أحواش بها 41 غرفة، 15 دكان ومخزن للتجار، 03 رحوات، 03 إسطبلات، 01 معصرة زيتون.

أما الأشراف الذين قدر عددهم بنحو 300 أسرة بمدينة الجزائر، بنى لهم محمد بكداش زاوية 1112هـ/1709م، وتعود أقدم وقفية للزاوية إلى سنة 1612-1613م حيث حبس محمد كاتب دار الإمارة علويا وحنوت بحومة كجاوة للزاوية، وكانت مداخيلها تصرف على الصيانة وشراء الحصير والزيت للإنارة ودفع أجور المشرفين عليها من إمام ومؤذن ومعلم وغيره من الموظفين، وما تبقى يصرف على الفقراء وأسرى الأشراف عند افتدائهم، يشرف على أوقافهم وكيل خاص.

## هـ - أوقاف أهل الأندلس:

تساهم في مجملها بمرود مالي قدره "دوفو" بـ4000 فرنك سنويا، لكنها تضاعلت أهميتها أواخر العهد العثماني، وهي لا تقل أهمية عن أوقاف الأولياء والأشراف، وهذا راجع إلى استقرار العديد منهم بالجزائر وامتلاكهم لثروات ضخمة نتيجة نشاطاتهم المختلفة الصناعية والتجارية والزراعية وأعمال القرصنة، لذلك قد خص الكثير منهم جامع الأندلس والزواوية الملحقة به الكثير من الأوقات بلغت 40 ملكية و61 عناء.

## و - أوقاف بيت المال:

يشرف عليها أمين يدعى "بيت المالجي"، يعينه الباشا ويساعده قاضي، وهي مؤسسة ترعى أموال الأيتام والغائبين والأموال المصادرة من الدولة والتركات، توزع الصدقات كل خميس على 200 فقير، وتتكفل بالدفن للفقراء...، وعتق الأسرى الجزائريين وتشرف على الأوقاف الذرية التي توفى أهلها دون ترك عقب.

## ي - أوقاف الثكنات والعيون:

هي مؤسسة غير دينية طبقا لاهتماماتها وهي صيانة المرافق العامة، وهي تهتم بالإنفاق على المعوزين من الجند وصيانة الثكنات والحصون والأبراج والعيون والسواقي والحنايا والصحاريح، يشرفها عليها وكيل ولكل مرفق وكيل العيون، وكيل الثكنات....

لقد وظفت الأوقاف في العهد العثماني في عدة أغراض، أهمها تدعيم التعليم، فكانت مصدر عيش الزوايا، والأضرحة ومصدر نمو المساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة، بحيث تدفع لهم مرتباتهم من الوقف إضافة إلى أعمال الصيانة وشراء الزرابي، والأفرشة بهذه المؤسسات، وكانت كل هذه المصاريف تحت مراقبة القاضي، لهذا وبفضلها لم ير الحكام ضرورة لرعاية المؤسسات الثقافية والدينية من مال الخزينة.

المصادر والمراجع:

- سورة آل عمران، الآية 200.
- سورة الأنفال، الآية 60.
- بودريعة ياسين، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات البايلك وبيت المال، ماجتسير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2، 2007م.
- بوعزيز يحي، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، الثقافة، ع 63، 1981م.
- التمغروطي علي بن محمد الجازولي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تقديم سليمان الصيد، دار بوسلامة، تونس، 1988م.
- التميمي، عبد الجليل وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 05، 1980م.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ج1.
- ابن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.
- شجري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، رسالة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2006م.
- شجري معمر رشيدة، "التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني" مجلة معارف، مج16، ع02، 2021م، جامعة البويرة.
- شجري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 02، 2018م.

- العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، *سريتا*، ع03، 1980م، قسنطينة، الجزائر.
- المنجد في اللغة والأعلام، (من حرف الياء إلى الصاد)، ط43، دار المشرق، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج07.
- الورثياني الحسن، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.
- Devoulx.A, Les édifices religieux de l'ancien Alger, Bastide, Alger, 1870.
- Devoulx, A, Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger, n°04, 1860.

## التعليم (مراحله)

**مقدمة:** كان التعليم، قبل العهد العثماني محصورا في الحواضر كجاية، قسنطينة، تلمسان...، ثم انتقل إلى الريف عندما تأسست الزوايا العلمية الدينية، بعد هجرة العلماء إلى داخل البلاد وتأسيسهم الزوايا، واحتضان الزوايا التابعة للمرابطين مهنة التعليم، بعدما كانت تقتصر على إطعام الطعام وإيواء عابري السبيل وإعطاء البركة.

ورغم أن بعض الحكام كانوا يحترمون العلماء ويوقفون الأوقاف لصالح العلوم ومراكز العلم، إلا أنهم تركوا ميادين التعليم للمبادرات الفردية، الأمر الذي أدى إلى انتشار الجهل والخرافة والأساطير بين الناس، ففاقد الشيء لا يعطيه فالدولة العثمانية لم يكن لها سياسة تعليمية واضحة حتى في عقر دارها، لذلك فالناس على دين ملوكهم، وحتى الأوقاف لم تسلم من أطماع بعض الأتراك وجشعهم حيث يقول الورتيلاني «فأصبحوا يأكلون منها وينتفعون بها كالأملاك الحقيقية وهي ليست لهم... ولكنهم تمردوا وطفخوا، وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وهذا بسبب اندراس العلم وأهله».

فضعف التعليم وانحصاره في العلوم الدينية جعل بعض الباحثين الأوربيين يركزون على النواحي العلمية كالطب والرياضيات والعلوم العقلية عند تعرضهم للتعليم في الجزائر، فنجد "د.شو" يشير إلى «أن الحياة الفكرية ما زالت كما كانت منذ وقت طويل في حالة متدهورة، والعلوم الطبية والفلسفة والرياضيات...، التي اشتهر بها العرب قديما، أصبحت من العلوم التي لا يعرف عنها شيئا».

أما "وليام شالر" فيقول: "أن العلوم غير موجودة وإن وجدت فهي ضئيلة فعلم الطب لا يوجد من يمارسه باستثناء المشعوذين وكتاب الحروز"، ويصف لنا كذلك أبوراس الناصري حال العلم في القرن 18م بقوله: «إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده وقلت دياره ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه...».

وعلى الرغم من هذه الصورة السوداء التي أوردها بعض المؤرخين، إلا أن البعض منهم يعطينا صورة مغايرة، بحيث أشار بعض الكتاب الفرنسيون عند احتلالهم للجزائر أنّ الأمية تكاد تكون منعدمة في الجزائر، فكل السكان كانوا تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، رغم أن الأتراك لم يعتنوا بالعلم مثل عنايتهم بالحرب، لذلك فما تحقق من ازدهار ثقافي جاء بسواعد الجزائريين أنفسهم، وإن كان هذا الرأي لا يعني المستوى العالي للتعليم بل مدى انتشاره.

### 1- مراحل التعليم:

لقد عرف التعليم بصفة عامة انتشار مستويين أساسيين، المستوى الأول والذي يتم في الكتاتيب، والمستوى الثاني، الذي تشرف عليه المدارس والمساجد في المدن، والزوايا في الأرياف، إضافة إلى مستوى ثالث، أي مرحلة التعليم العالي لم يكن هناك فاصل بينه وبين التعليم الثانوي، ويكون في الزوايا العلمية والمساجد الكبرى والمدارس وجامع الأزهر والزيتونة والقرويين، والتي لا يصل إليها إلا القليل من الطلبة المتفوقين.

#### 1-1- التعليم الابتدائي:

يعتبر المصدر الأول في بناء الأجيال، ففي هذه المرحلة يحفظ الطفل القرآن الذي يعد أساس الثقافة الإسلامية، ورغم من عدم مسابقتها للعصر، إلا أنها أدت وظيفة هامة، حيث عملت على تقليص نسبة الأمية، لقد كان التعليم الابتدائي منتشرا بصورة كبيرة خلال العهد العثماني، وما يثبت ذلك ما أشار إليه العديد من الكتاب الأجانب، مثل الجنرال "دوماس"، الذي ذكر أن التعليم الابتدائي منتشر بكثرة في الجزائر، فمن خلال اتصالاته بالأهالي تبين لهم أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة. كما علق "إيفون ثوران" بأنه «إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة، فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية "الكتاب"...».

يتلقى التلميذ في هذه المرحلة؛ حفظ القرآن وتعلم الحروف الهجائية وبعض مبادئ الحساب والقراءة وشعائر الدين وأركان الإسلام، ويلتحق بهذه المرحلة كل طفل سنه ما بين

الرابعة والسادسة وقد يبقى في الكتاب حتى سن 14، يتلقى حفظ القرآن وتعلم الكتابة والقراءة والحساب على يد معلمين ومؤدبين، يتم اختيارهم من طرف الأهالي.

بالمدين في حال كان معوزا يكتفي بهذا القدر من التعليم، أما إذا كان من الأغنياء فيواصل تعليمه للمرحلة الثانوية، بالمدارس لدراسة الفقه والتوحيد والنحو على يد العلماء من أئمة ومتقنين وقضاة، أو يبقى لسنوات أخرى بالكتاب لحفظ القرآن على ظهر قلب، أما بالأرياف فيلتحق بالزوايا لإكمال دراسته الثانوية، أو يصبح مؤذنا أو يدخل عالم التجارة مع أهله أو ينظم للجيش، كمدرس للجيش أو مشرف على جباية الضرائب أو في مكاتب الجمركة للإشراف على الحسابات، أما المدة التي يقضيها التلميذ للتحصيل المعرفي في هذه المرحلة تتراوح ما بين ثلاثة إلى أربع سنوات.

وكان يتراوح عدد التلاميذ في الكتاب الواحد ما بين 15 إلى 20 صبيا، وأحيانا ما بين 20 إلى 30 صبيا، على حسب كثافة سكان الحي، وعلى نجاح وسمعة المؤدب. والملاحظ أن هذا التعليم كان مخصصاً للذكور غالبا، لأن تعليم البنات كان منعما تقريبا إلا عند البعض ممن كان يسمح بتعليم البنات تعليما متواضعا، في نفس الكتاب فقط وتحت إشراف النساء، وهناك من الأهالي من كان يجلب مؤدبا وغالبا ما يكون طاعنا في السن أو أعمى، كما يكون معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات في البيوت.

### 1-2- التعليم الثانوي:

بعدما ينتهي التلميذ من المرحلة الابتدائية، ينتقل من يرغب في مواصلة تعليمه الثانوي، الذي يتم في المساجد والمدارس، حيث يلتحق الطالب بالمسجد أو المدرسة لمتابعة دراسته، فإذا كان فقيرا أو قادما من مكان بعيد يمنح له سكن في الزاوية المعدة لاستقبال الطلبة الفقراء والغرباء. فضعف المستوى المادي للطلبة جعل أغلبهم يتمتع بالنظام الداخلي. فمثلا بمدينة الجزائر وجدت زاوية واحدة مخصصة للطلبة الفقراء المقيمين بالمدينة، وخمسة زوايا مخصصة لإقامة الطلبة الوافدين عليها، منها ثلاث زوايا لطلبة الناحية الغربية وزاويتين لطلبة الناحية الشرقية.

فمن أجل المزيد من العلم كان الطلبة، يقصدون المدارس البعيدة، والزوايا والمساجد، الذي اشتهر بها المدرسون، مثل الجامع الكبير، زاوية علي بن الشريف، ومدرسة مازونة، التي تم تشييدها نهاية القرن 16م من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي، واشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه والحديث وعلم الكلام، فقد نالت شهرة علمية مغربية، حيث كانت ملتقى العلماء ومقر للمبادرات الفكرية وقد درّس بها عدة علماء بارزون أمثال أبوراس الناصري، كان يقصدها الطلبة من كل الجهات حتى من الأسرة العلوية بالمغرب، لدراسة العلوم ومناقشة بعض المسائل الفقهية والقانونية، فكان إذا أريد إظهار سعة علم شخص ما قيل أنه درس بمازونة.

كان التعليم مجانيا للطلبة أي على حساب نفقة الأوقاف، فالطالب لا يدفع بل يُدفع له مقابل تعليمه، سكنا وأجرا فمثلا بقسنطينة كان يتلقى 150 طالبا، منحة سنوية مقدرة بحوالي 36 فرنكا، من مجموع 700 طالب، أغلبهم من سكان الأقاليم البعيدة، يقطنون في 16 زاوية. يقضي الطلبة في هذا المستوى ما بين ثلاث إلى ست سنوات حسب رغبة كل طالب في البقاء لنيل المزيد من المعارف ليتخصص في علم محدد يريده في التعليم العالي، كما يتلقى الطالب في هذه المرحلة دروسا في التفسير والقرآن والحديث والسيرة النبوية، واللغة والأدب النحو والصرف، والميراث والحساب. وفي نهاية تعليمه ينال الطالب إجازة تشهد له أنه تلقى جميع العلوم في نطاق تخصصه، وتعطى له شفوية وليست مكتوبة تؤهله لتولي وظائف كمقرئ بالجامع أو مؤدب أو كاتب وأكثرهم موهبة يتولى التدريس بالمساجد والمدارس، ومن لهم خط جميل يتولى نسخ القرآن الكريم.

### 1-3- التعليم العالي:

تميز هذا الطور من التعليم بغياب الهياكل الخاصة به، رغم أن "فونثير دو برادي" في القرن 18م أشار إلى وجود ثلاث جامعات في الجزائر لدراسة المذهب المالكي، لكن الحقيقة أنه في الجزائر كلها لم يكن بها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه، فالمسجد الكبير ورغم كونه أشهر مساجدها، إلا أنّ هذا لم يؤهله ليصبح جامعة كالأزهر والزيوتونة

والقرويين، رغم أن الدروس التي كانت تقدم فيه كانت تضاهي وقد تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق، والحرمين الشريفين ويرجع هذا دروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة، وسعيد المقرئ بتلمسان، وأبي راس الناصري في معسكر وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي بقسنطينة، وأحمد البوني في عنابة، التي كانت تمتاز بالعمق والإحاطة والرقي، غير أن الملاحظ أن هذا كان نتيجة جهودهم الشخصية وليس لانتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعة لها.

فعدم وجود مراكز للتعليم العالي جعل التعليم ضعيف في الجزائر، إلا ما كان في الجامع الكبير بمدينة الجزائر وتلمسان، وفي زاوية سيدي علي الشريف، وبالخنقة والقليلة ومازونة، لذلك نجد الطلبة يكتفون بالقليل، والقلّة منهم كانوا يرتحلون لطلب العلم في العالم الإسلامي. وهذا الأمر يفسره قول ابن ميمون: «أن الأزهر الشريف وجامع القرويين وجامع الزيتونة وجامع الأمويين، والمسجد الأقصى والمسجد النبوي أبت الطبيعة أن تجعل أحدهم في حوزة القطر الجزائري، حتى ينبغ فينا رجال علم وأدب، فيكون لهم نتاج يستوجب من علماء الأقطار هز الرؤوس».

أما المواد المدرسة في هذه المرحلة فكانت النحو، الحساب التفسير، التاريخ، التوحيد، علم الكلام، أصول الفقه، والحديث خاصة صحيح البخاري، البلاغة، أما العلوم التجريبية لم تكن تدرس رغم وجود بعض المتطبيين والصيادلة، وهو الأمر الذي جعل بعض الأجانب يهاجمون التعليم في الجزائر.

## 2- مناهج ووسائل التعليم:

### 2-1- المناهج:

#### أ- التعليم الابتدائي:

كان منهاج الدراسة في الكتاب في هذه المرحلة يعتمد على التلقين والحفظ، سواء في المدينة أو الريف، حيث يتعلم الطفل الحروف الهجائية عن طريق الكتابة في الألواح المصلاصة والقلم القصبي، وباستعمال المداد المستخرج من صوف الضأن بعد حرقه،

كما يقوم المؤدب بكتابة سور من القرآن بوضوح على لوحة، لينقلها التلاميذ على ألواحهم، ومن يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يعلمها لبقية التلاميذ. وتتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية والسور، وبعد حفظ التلميذ لما في اللوحة يقوم بترتيلها على مسامع الشيخ المدرس وهو جالس أمامه على حصيرة، فقد كان المؤدب يجلس في صدر الكتاب متربع على حصير مسند ظهره إلى الحائط ويده عصا تصل إلى أبعاد واحد من التلاميذ المتربعين والمحيطين به في صف دائري، وهذه العصا يستعين بها للحفاظ على النظام، وإثارة انتباه التلاميذ.

كان التلميذ يذهب مرتين في اليوم إلى الكتاب صباحا ومساء، وكل فترة يمكث فيها حوالي ساعتين وكانت الفترة الصباحية للاستظهار والحفظ، نتيجة صفاء ذهن الطفل صباحا، والعطلة تكون يومي الاثنين والجمعة، أما الفترة المسائية فكانت للحفظ فطريقة التعليم هذه جيدة ومناسبة مع بساطة التعليم وتراعي تطورات وقدرات التلميذ على القراءة والكتابة، وقد أشاد "وليام شالر" بهذه الطريقة، لوجود الوحدة فيها وجمال الخط العربي، وهي طريقة بيداغوجية جيدة أشاد بها الكثيرون فالعصا كانت تستعمل أساسا للتبنيه وليس للعقاب، كما لوحظ أن الاحترام كبير بين المؤدب وتلاميذه، وهي العلاقة القائمة أساسا في المجتمع، والتي تنص على احترام الصغير للكبير، وتستمر هذه العلاقة حتى يصبح التلميذ رجلا، فهو ينظر دائما لمؤدبه باحترام لأنه بمثابة والده.

وكانت العقوبة بالكتّاب تكون عن طرق التأنيب بالكلام أو الفلقة أو بتنظيف المكان، والضرب (الفلقة) تكون على أصابع اليد أو حتى على الرأس وهو أمر نادر في حال السرقة مثلا، حيث يربط قدمي التلميذ بين حبلين مربوطين بعصا، ويجلد في قدمه حتى تدمى أحيانا، وأهل التلميذ لا يعارضون المؤدب محل ثقة، بل يلومون أبناءهم، لكن إذا تكررت الشكاوى ضده، يعفى من مهامه من طرف الأولياء. وحسب "بويي" كان يمنع ضرب الأطفال تحت سن 10 سنوات.

وفي حال إتمام الطفل قراءة وحفظ القرآن يحمل على حسان مزين ويطوف به زملاؤه في الشارع معلنين نجاحه، ويتلقى والديه التهاني والهدايا، وربما تعد هذه الطريقة في الاحتفال بالطفل الذي ختم القرآن حافظاً لبقية الصبية ليحذوا حذوه.

### ب- التعليم الثانوي والعالي:

لم يكن هناك فصل بين أطوار التعليم الثانوي والعالي، سواء في الزاوية أو المدرسة أو المسجد، ورغم وجود فرق في مستوى التعليم بين طلبة الريف وطلبة الحواضر، نتيجة توفر هذه الأخيرة على الكتب وانتعاش حركة العلماء، الذين كثر الاحتكاك والتنافس بينهم، إلا أن التعليم في هذه المرحلة كان يركز على الشرح والإملاء والنقاش، فكل مدرس له "مسمع" يقرأ له نصاً أو جزءاً من الكتاب المراد دراسته، ثم يقوم بشرحه في جلسة واحدة أو عدة جلسات يختم ذلك بإملاء ملخصات على الطلبة الذين يقومون بتسجيلها، خاصة إذا كان واسع العلم، وبهذا يكونوا قد أسهموا في حركة التأليف المنتشرة آنذاك.

كان التعليم في هذه المرحلة يقوم على الحفظ واستظهار المتون نظماً وشعراً، مع تدريب الطلاب على الفهم والبحث والمناقشة، وهي طريقة تعليمية أرساها "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في القرن 14م، أين توارثها علماء الجزائر جيلاً بعد جيل، لهذا نجدهم يعيرون على طلبة فاس اعتمادهم على الحفظ والنقل وعزوفهم عن أعمال العقل وتدريبه.

فأثناء الدرس كان الطلبة يجتمعون في حلقة حول شيخهم، الذي يقوم بالشرح والإملاء وطرح بعض الأسئلة على الطلبة، كما يتلقى هو بعض الأسئلة من الطلبة بعد انتهاء الدرس، والملاحظ في التعليم الثانوي والعالي، أنه لم يكن يراع مستوى الطالب وقدرته، فقد يحضر في الدرس الصغير مع الكبير والذكي مع الغبي.

أما البرنامج الدراسي، فالمدرسون هم من يقوم بوضعه وتحديد أوقات التدريس، كما لم يكن هناك يوم دراسي معين تعقبه عطلة معينة للطلبة، فكل أستاذ كان حراً في توزيع دروسه، فمنهم من يوزع الدروس على فصلين، الشتاء والصيف، حيث تدرس العلوم النقلية (تفسير الحديث، فقه) في الشتاء والعلوم العقلية (لغة، بيان، حساب، منطق، فلسفة) في

الصيف، ومنهم من يوزعها على فصل الشتاء والربيع، ولكنه لا ينقطع عن التعليم في الأيام الأخرى، إلا أنه ليس بغزير مثلما كان الحال لدى علماء قسنطينة، وهناك من يعطي دروسه في الشتاء وفي الصيف يتفرغ لمراجعة وتحضير ما يلقيه في الشتاء، كما نجد ومنهم من كان يدرس ثلاث مرات في اليوم من شروق الشمس حتى الساعة 11، ثم من الساعة 12 حتى العصر، أما الحصة الثالثة فمن الساعة الثالثة والنصف حتى المغرب، ومنهم ممن يلقي دروسه مرتين في اليوم، ومنهم من كان لا ينقطع عن التدريس طوال اليوم إلا في أوقات الصلاة والآذان، وهناك من المدرسين من كان يقدم دروسه صباحا فقط أو ظهرا أو مرتين في اليوم.

أما في الريف أين تتواجد الزوايا بكثرة، وباعتبارها المؤسسة التعليمية الوحيدة التي تقوم بتدريس الطلبة من المرحلة الابتدائية غالبا حتى المرحلة العالية فقد كان يتم تقسيمهم إلى مجموعات وكل مجموعة بها ثلاث فئات: المجموعة الأولى: تضم فئة المبتدئين (من ختم سورة البقرة، وفئة المتوسطين من ختم البقرة وشرع في الإعادة، وفئة المنتهين من ختم القرآن كله، وبقي له الرواية والتجويد، أما المجموعة الثانية: فتضم كل من فئة الأجرومية ومثن ابن عاشر، وفئة القطر والرسالة وفئة الألفية).

أما فيما يخص نظام الامتحانات فلم يكن معروفا في هذا العهد، فقد كان الطالب المنفوق يكلفه الأستاذ بمساعدة الطلاب في أخذ فكرة عن الدرس الجديد، قبل أن يقوم هو بشرحه لهم، أو أن يعيد الدرس الذي ألقاه الأستاذ، مما يؤدي إلى رفع مستوى العناصر الضعيفة من الطلبة، كما يعتبر تدريبا له على إلقاء الدروس والتعود عليها. وعند انتهاء الطالب من دروسه يقدم له الأستاذ إجازة لتدريس علم معين أو عدة علوم، أي إجازة عامة لتدريس كافة العلوم، فمنهم من كان يجاز في سنتين ومنهم من يجاز بعد عدة سنوات، كل حسب قدراته، غير أن هذه الإجازة لا تسلم له كتابيا، بل هي إجازة شفوية، أما الإجازة المكتوبة فكانت نادرا ما تمنح للطلاب، بحيث كانت في البداية مقيدة بعلم أو كتاب معين،

لكن بعد ضعف التعليم وتدهوره أصبحت تعطى بسهولة لمن يستحقها أو من لا يستحقها، بل وصلت إلى درجة أن تعطى بالمراسلة دون أن يرى الأستاذ الطالب.

## 2-2- وسائل التعليم:

لا يمكن أن يقوم التعليم إلا في حال توفرت له الوسائل الضرورية سواء كانت مادية أو بشرية.

### أ- المعلمون:

يعتبر المعلم عمدة التعليم، فهو ناشر للعلم بلسانه، وآرائه وسلوكه والمعلمون صنفان، معلمو المدن، ومعلمو الأرياف، وكلا الصنفين درجات، فهو مؤدب إذا درّس الأطفال الصغار، ومعلم أو مدرّس إذا درّس الفتيان، وأستاذ أو شيخ إذا درّس الشبان المؤدب، كان يشترط أحيانا في المؤدب في المدينة أن يكون عثمانيا أو أندلسيا أو من الأشراف، وهذا من طرف الأشخاص الواقفون على الكتاتيب، وكان يشترط في المؤدب الزواج، حسن الأخلاق، حفظ القرآن، المعرفة بالكتابة والقراءة، بالمدينة يختاره سكان الحي، أما بالريف فيختاره أهل القرية أو الدوار، أو يختاره شيخ القبيلة أو الجماعة. وبالإضافة إلى المهام التعليمية كان المؤدب بالريف، يستفتى من طرف الناس في أمور دينهم وفي كتابة العقود، وحل خلافاتهم، وإمامة الصلاة والعمل كمؤذن، وهو ما جعله بالريف أكثر صلة بالأهالي على عكس المدن.

أما المدرس بالمدينة فكان يعين من طرف الباشا أو الخليفة بدار السلطان أو من البايات أو قائد الدار بالأقاليم، لهذا تعتبر وظيفة المدرس غير مستقرة، لأن بقاءه في الوظيفة مرهون بسمعته بين الناس، ووفرة الوقف المخصص لذلك وبالظروف السياسية، وسعيه لتجاوز خصومه ومنافسيه من أصحاب مهنته، ونيل رضا الباشا أو الباي للحصول على المنصب وهو عكس المؤدب، يجب شروط كثيرة مثل حصوله على مستوى عال من التعليم، كما أن اختياره من طرف السلطة بالمدينة أخضعه لرقابة وقيود اجتماعية وسياسية

و دينية مثل باقي الموظفين الرسميين، في حين أن مدرسو الأرياف كانوا أكثر حرية، لأنهم لا يخضعون لتعيين رسمي من السلطة، كما أن رزقهم لا يرتبط بالوقف فقط. التابع للزاوية التي كانت لها مصادر دخل أخرى كالوعدة، الزيارة، الزردة، الحضرة، السفارة... وغيرها. لقد كان التنافس على وظيفة المدرس في العهد العثماني عليها أقل مقارنة بالوظائف الأخرى كالإفتاء، والقضاء، فهي مهنة لم يكن يرغب فيها كثيرا، لأنها متعبة غير مريحة، فالمدرس كان يعيش الكفاف، وبما أن مورده غير قار ولا آمن، لجأ بعضهم إلى الاعتماد على مصادر رزق أخرى، كالتجارة أو استغلال الأراضي وغيرها.

أما التعليم العالي، فقد تصدى له غالبا بعض القضاة والمفاتي، إضافة إلى وظيفتهم الرسمية، وهم ذوي خبرة، وتبحر في العلم، ويعطون الإجازات. كما مارسه بعض الأساتذة المتفرغين للتدريس بصورة دائمة (يتقاضون راتب الأوقاف)، أو أساتذة متطوعون لا يتقاضون راتبا إما تقريبا لله، أو أن لهم مهنة أخرى كالتجارة، مثل عبد الكريم الفكون (الجد) الذي كان له دكانا، فهؤلاء كانت لهم أملاك تغنيهم عن أموال الوقف وسعيد قدورة الذي كان غنيا جدا، ولا ينفق على نفسه من الأوقاف، بل أنه كان يدفع من ماله الخاص لمن ينوب عنه في الخطابة والصلوات، كما تولى التدريس العالي بعض الأساتذة الزائرين المحليين مثل الحسن الورثياني الذي ذكر أنه يصوم في بجاية كل عام ناويا الرباط وتعليم الطلبة. أو بعض الأساتذة الزائرين من الأقطار العربية.

كان الطلاب هم من يختار الأستاذ المعروف بالتبحر في العلم، فهم مقياس كفاءة الأستاذ وأهليته للمنصب لذلك لم يكن يجرؤ أي أستاذ على التصدي للتعليم، لأن انصراف الطلبة عن درسه يعني عدم أهليه للتعليم، ويعيش طول حياته مغمورا، فبالإضافة إلى العامل النفسي، كان الفرق بين مدرس وآخر لدى الطلبة هو سيطرة المدرس على مادته، وفصاحة لسانه أو قوة شخصيته وإخلاصه في مهنته فهذه الأمور هي من تحدد بقاء الطلبة أو تغييرهم للمدرس.

فكان العالم إذا تولى التدريس وذاع صيته قصده الطلبة من كل حذب وصوب، وتزاحموا على حلقاته، مثل محمد بن علي أبهلول المجاجي الذي كانت تشد إليه الرحال حتى من مصر وتونس وغيرها، والملاحظ أن الطلبة كانوا يأخذون العلم أينما وجدوه، دون عصبية أو جهوية وأحيانا يضحون بمالهم وصحتهم وعائلتهم من أجل طلب العلم، ومنهم حتى من طلق زوجته حتى يتفرغ للعلم، مثل الشيخ أحمد التيجاني الذي طلق زوجته الأولى لأنه رأى أنها شغلته عن العلم والاجتهاد.

ونجد كذلك من العلماء المدرسين رفض الوظائف الرسمية ليتفرغ للعلم مثل الشيخ أمحمد بن حالة الذي رفض وظيفة عرضها عليه باي قسنطينة، وهناك من انقطع للتعليم ووهب حياته لذلك مثل "أبو راس الناصري" الذي يقول: «فانتقلت إلى معسكر، وشمريت ساق الجد للتدريس ليلاً ونهاراً، وداومت على ذلك ستا وثلاثين سنة، متصلة ما بطلت فيها يوماً واحداً إلا يوم الاثنين لأمر مهم رباني».

كما نجد الكثير من العلماء ممن أنفق ماله خدمة للعلم مثل الولي سيدي محمد بن عبد الجبار بن ميمون الفجيجي (ق16م)، الذي باع أرضه من أجل الإنفاق على الطلبة، بزوايته، والمتصوف بلقاسم بن موسى بن صابر، الذي وهب ماله للعلماء والإخوان والفقراء. ومنهم من عمل على نشر الإسلام بين الأسرى المسيحيين، وقد نجحوا في الكثير من الأحيان في ذلك، وهو ما يفسره العدد الكبير للأعلاج بالجزائر، وإن كان بعضهم اعتنق الإسلام ليعجل بعنقه أو من أجل تولي مناصب عليا.

#### ب- الكتب والمكتبات (أنظر المحور الثاني):

لقد كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان لكثرة الكتب والمكتبات، وكانت الكتب تنتج محلياً عن طريق التأليف أو النسخ، كما كانت تحمل من مصر وإسطنبول والحجاز، ومن الأندلس بعد هجرة أهله إلى الجزائر، وكانت العاصمة وتلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة، ومعسكر حينها أكبر مركز لحركة التأليف والنسخ والجمع، والاهتمام بجمع الكتب وتصنيفها وإنشاء مكتبات، وقد أشار "التمغروطي" عن كمية الكتب الموجودة بمدينة

الجزائر في ق 16م بقوله: «... الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا، وتوجد فيها كتب الأندلسيين كثيرا». كما أما الزوايا خاصة زوايا الطرق الصوفية فقد كانت مخازن للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم نتيجة اهتمام شيوخها وطلابها بالتعليم، والنسخ ونقل للكتب والجمع والشراء، فقد كان رجال العلم بالصحراء يحتفظون بالكتب أكثر مما يحتفظون بغيرها، حيث شاهد "العايشي" في رحلته (القرن 17) نسخا بتكورارن من نوازل البرزلي بخط الإمام ابن مرزوق وإجازات لبعض مشايخ القادرية بخط مشرق في مكتبة الشيخ محمد بن إسماعيل، كما وجد لدى إمام ورقلة أجزاء من الموطأ والبخاري، ومختصر خليل وكتاب الإكمال للقاضي عياض والرسالة لابن زيد القيروان، لكن هذه الكتب أغلبها ضاع أو تم تسريبه إلى أوروبا عند الاحتلال الفرنسي للجزائر.

### ج- أجور المدرسين:

فيما يخص الأجور، فقد حرص معظم المدرسين على تأمين قوتهم وكسب معاشهم سواء عن طريق الأوقاف أو عن طريق ما يدفعه الأهالي كأجور شهرية، وهدايا وعطايا المحسنين من حين لآخر، وبعضهم كما ذكرنا لم يكن بحاجة إلى الراتب الشهري لكونه كان متطوعا أو يمارس مهنة أخرى تدر عليه مدخولا يعتاش منه.

فالمؤدب كان يحصل على راتب غير قار، يختلف حسب حالة أولياء التلاميذ المادية، وعندما يحفظ التلميذ القرآن الكريم يأخذ المؤدب أجرا إضافيا، ففي قسنطينة كان المؤدب يحصل على 30 فرنكا سنويا منها 14 فرنكا على كل طفل و05 فرنكات في شكل هدايا الأعياد و11 فرنكا على كل فترات تكوين الطفل، أما المدرسين بالمدن فكانوا يتقاضون راتبا سنويا من الأوقاف مثل بقية الموظفين، تتراوح ما بين 100 إلى 200 فرنك، إضافة إلى السكن، وقد أشارت الوثائق الأرشيفية أن مدرس عدي باشا كان يتقاضى 5 ريالات ما بين 1729/1730م و1742/1743م، في حين مدرس باب عزون يتقاضى 6 ريالات ما بين 1742/1745م ومدرس جامع خضر باشا له 60 دينارا أما مدرس زاوية شبارلية له محبوب

واحد، ومدرس مدرسة الأغا له 50 صاع شعير من محصول أرض تدعى الخريبة، كما يحصل الطلبة شهريا على هدايا تقدر بـ102 محبوب.

إضافة إلى هذه الأجور كانت تقدم للمدرس الماء والزيت للمصابيح والخلويات في رمضان، وملابس العيد والطعام، كما يحصلون في المناسبات، مثلهم مثل بقية العلماء على هدايا وعطايا من السلطة، فمثلا عند ختان ابن الداوي مصطفى منح أهل المدارس والزوايا 12 محبوب لكل واحد.

ولما كانت الأجور تخضع لمردودية الوقف المتذبذبة، وللمؤسسة التعليمية التي ينتمي إليها المدرس "مالكية أو حنفية"، وحفاظا على السير الحسن للتعليم حاول بعض الحكام جعل الأجور ثابتة، مثل صالح باي الذي خصص لمدرّس مدرسة سيدي الكتاني 30 ريالا شهريا، وخصص 6 ريالات للطلبة المتمدرسين بها.

د- المراكز التعليمية (انظر المحور الثاني):

## المصادر والمراجع:

- بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- بوعزيز يحي ، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، الثقافة، ع 63، 1981م.
- بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م، ج1.
- التلمساني عبد الله محمد ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1.
- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.
- سي يوسف محمد، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني" الحياة الفكرية في الولايات العربية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس 1990م، ج1.
- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع. إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- شدري معمر رشيدة ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، رسالة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2006م.
- شدري معمر رشيدة، "التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني" مجلة معارف، مج16، ع02، 2021م، جامعة البويرة.
- شدري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 02، 2018م.

- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية "1661-1663م"، ط1، تحقيق. سعيد الفاضلي - سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.
- العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سرتا، ع03، 1980م، قسنطينة، الجزائر.
- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- ابن المفتي حسين بن رجب تقييدات بن المفتي، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، 2009م.
- الميلي محمد بن مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج3.
- الناصري أبو راس ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ط1، تحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م.
- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.
- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- الورثياني الحسن، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.
- Boyer (P), la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française, Imp, nationale Monaco, 1964.
- Dr shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac. Carthy, 2ème ed. Bouslama, Tunis, 1980.
- Venture de paradis, Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle (1788-1790), editions grand livres, Alger, 2006

## العلماء (نشاطهم، حركتهم، مصنفاتهم)

### مقدمة:

لقد نبغ الكثير من العلماء الجزائريون، الذين تركوا بصماتهم في مختلف العلوم سواء الدينية والأدبية والتجريبية ومن أهم ما ميز الوضع الثقافي بالجزائر هو بروز عائلات توارثت العلم من أهمها:

### 1- أسرة قدورة:

يعدّ بيت قدورة أكبر الأسر العلمية شهرة بالجزائر العثمانية، التي تمتعت بالنفوذ والجاه الذي مكنها من تولي خطة الإفتاء المالكي بالمدينة أكثر من قرن، حيث كانت منافسة شديدة بين رجال العلم حول المناصب العلمية والدينية الرفيعة خاصة الإفتاء. وقد ذكر ابن المفتي أنّ أسرة قدورة تونسية الأصل، وأنّ والد سعيد قدورة وهو إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي لم يكن عالماً بحيث عمل "خبازاً قرب زاوية سيدي الأكلح قرب باب عزون"، وهو مؤسس هذا البيت، وصانع مجده، وقد رسخ مكانته منذ توليه منصب الإفتاء المالكي بالجامع الأعظم، ووكيل للأوقاف. وكان لهذه الأسرة مكانة كبيرة في مجتمع مدينة الجزائر حيث قال ابن المفتي: "كان الناس يستبشرون بهذه العائلة وكانوا يعتقدون بل حتى يتيقنون أنّ البركة تلتصق حتى بالأبناء في سن الحداثة"، وقد أنجبت هذه الأسرة عدد من العلماء من بينهم:

**1-1- سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن:** هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، ولد سنة 979هـ/1571م، (قرب جربة بتونس)، حيث تفقه بالجزائر على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل المظماطي، الذي كان مفتياً بالجامع الأعظم قبل سعيد، ثم قرأ على أبي عثمان سعيد المقرئ بتلمسان، ولما عاد إلى الجزائر تولى الفتوى بها وأقرأ وعلم بالجامع الأعظم.

تولى في البداية إمامة مسجد البلاط بمدينة الجزائر ثم خطابة جامع سيدي رمضان، ثم الإفتاء المالكي بعد أن عزل ابن عمار عام (1028هـ/1618م) وتناوب سعيد مع ابن عمار الفتوى، وكان خطيباً ومدرسا بالجامع الكبير وبنوب عنه أربع خلفاوات بالتداول إذا تأخر عن الخطبة أو صلاة الظهر والعصر عن العادة التي سنّها أسلافه.

ظل سعيد قدورة في منصب الإفتاء إلى غاية وفاته توفي في (1066هـ/1656م)، أين دفن بزواوية الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري الصوفي، بعده ورث ولديه محمد وأحمد هذا المنصب، وكان قدورة محظيا عند الباشوات لدرجة أنهم كانوا يقفون له إجلالا ويقبلون يده، ويقدمونه على المفتي الحنفي (شيخ الإسلام) الذي كان يمثل المذهب الحاكم، لكن ورغم هذا فقد تعرض مرة للنفي إلى اسطنبول بعد وشاية من حساده وقد تعلم العلوم الدينية منها "مختصر خليل" و"ابن الحاجب" في الفقه والفرائض والتوحيد، ومن تلامذته عيسى الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، أما مؤلفاته "نوازل تلمسانية"، و"رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو" وله شرح على متن السلم لعبد الرحمان الأخضرى، وحاشية على شرح العقيدة الصغرى للسوسى، فهو لم يكن قدورة مفتيا فقط ولا مدرسا فحسب، بل كان أيضا يخلط العلم بالتصوف، حيث كان يدرّس لطلابه كتب ابن عطاء الله كما كان يدرس لهم صحيح البخاري ورسالة القيرواني وسلم الأخضرى وصغرى السنوسى.

**1-2- أبو عبد الله محمد بن سعيد قدورة:** ولد عام (1034هـ/1625م) بمدينة الجزائر ودرس على شيوخها وعلى رأسهم والده، تولى الإفتاء المالكي والخطابة بالجامع الأعظم خلفا لأبيه، فقال عنه ابن الفتى: "ولما تعاضمت حرمة سيدي سعيد وكثرت أشغاله قدم ابنه سيدي محمد... الذي كلفه أبوه مع صغر سنه بالفتوى والخطابة والتدريس لفضله ونباهته"، توفي عام (1104هـ/1693م) ورغم بقائه في الفتوى 40 سنة، إلا أنه تمت الوشاية به وتم سجنه مدة بعدها أطلق سراحه بعد تبين براءته.

**1-3- أبو العباس أحمد بن سعيد قدورة:** درس بمدينة الجزائر وعلى يد والده وأخيه محمد، تولى الإفتاء بالجامع الأعظم عام (1107هـ/1706م)، قتله الداى محمد بكداش خنقا رقة

أخيه القاضي "علال بن سعيد بن إبراهيم" بعد حبسهما فترة، وبهذا يمكن القول أنّ هذه العائلة حصلت على مكانة كبيرة نتيجة تقلدها لعدة وظائف من تعليم وتدريس أثرت في أجيال المتعلمين من الجزائريين، واشتهرت برواية الحديث وحفظ الأسانيد ورواية الأخبار والأنساب.

## 2- أسرة ابن العنابي الحنفي:

تعدّ أسرة ابن العنابي من أشهر البيوتات العلمي، وتولى عدد من أفرادها الفتوى والقضاء الحنفي بمدينة الجزائر، وكانت قريبة من السلطة وذوي النفوذ في البلاد، اشتهر منها 05 علماء وهم:

2-1- **مصطفى بن رمضان العنابي:** هو من أصل تركي، ولد بمدينة عنابة، نشأ وتعلم بها وعرف بالعنابي وانتقل إلى مدينة الجزائر واستقر بها لأنها مركز الجاه والسلطة والنفوذ، وهناك تزوج وتولى منصب القضاء على المذهب الحنفي حيث أكمل تحصيله العلمي بالمدينة، فدرس على علمائها ولازم شيخه المقري التلمساني، وأخذ عنه التوحيد والحديث وأصول الفقه والمنطق وعلم التصوف وغيرها من العلوم، درس مصطفى العنابي بمدينة الجزائر تخرج على يده علماء من مختلف البلدان من أشهرهم مصطفى برناز التونسي، توفي عام (1130هـ/1717م) وترك بعض المؤلفات منها "أرجوزة في الفقه الحنفي (الفرائض)"، "الروض في أحكام العزوبية والتزويج".

تولى وظيفة القضاء والإفتاء الحنفيين، وقد عرف بعلوم الفقه والتأليف فيها وحضي بمكانة عند الحكام فولوه التدريس إلى جانب تلك الوظائف، فدرس عليه الكثير من العلماء منهم ابن المفتي الذي ينعته "بشيخي"، ومن خلال المناصب التي توالها أتاحت له الفرصة للقاء العلماء الذين وفدوا على مدينة الجزائر كالشيخ "محمد الطيب الفاسي" الذي جاء في مهمة سياسية عام (1103هـ/1692م) فتباحث معه في مسائل علمية.

2-2- حسين بن محمد العنابي (ت. 1150هـ/1737م): تولى هو الآخر الإفتاء بالمدينة أربع مرات، ويعد مفسر وعالم في علوم الشريعة ومن أثاره "تفسير القرآن الكريم"، تولى كذلك وظائف أخرى الخطابة والتدريس بالجامع الجديد، وأكد ذلك ابن المفتي لما تحدث عن خلفه في الفتوى قائلاً بأنه تولى مكانه: "في وظائفه مفتياً وخطيباً ومدرساً بالجامع الجديد" وخلفه محمد بن علي بن يوسف العليج.

2-3- حمد بن محمود بن العنابي: ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ/1775م، مجدد وداعية للإصلاح الاجتماعي والسياسي، قاض وفقه حنفي، كما تولى سفارة للسلطان المغربي المولى سليمان بعد القصف الإنجليزي لمدينة الجزائر سنة 1816م، رحل إلى المشرق سنة 1820م ونزل بالإسكندرية وبها كتب كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود"، له مؤلفات أخرى مثل "ثبت الجزائري" و"العزير في علم التجويد"....

3- ابن الفكون: هو عبد الكريم الفكون القسنطيني، ولد عام (988هـ/1580م) بقسنطينة توفي عام (1073هـ/1662م)، أخذ العلم بمسقط رأسه، أديب لغوي محدث جمع بين علم الباطن والظاهر، نشأ في أسرة محترمة مؤيدة للعثمانيين، تولى وظائف هامة بعد وفاة والده عام (1045هـ/1635م) من تدريس وخطابة وإمامة، ثم تولى وظيفة ركب الحج التي جعلت منه شخصية دينية مرموقة لا يعارضه أحد، ليس فقط في الجزائر بل حتى في العالم الإسلامي خاصة في البلدان التي كان ركب الحج يمر بها مثل تونس وطرابلس والحجاز والقدس كان يستقبل الطلبة من قسنطينة وعنابة ومدينة الجزائر، وتخرج على يده الكثيرون مثل أبي مهدي عيسى الثعالبي ويحي الشاوي، اشتهر بكتابه "منشور الهداية" ورسالة في تحريم الدخان "محدد السنان في نحر إخوان الدخان" وديوان في مدح النبي (ص) وكتاب في "حوادث فقراء الوقت".

4- أبو مهدي عيسى الثعالبي: أصله من وطن يسر، ولد بزواوة وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وأتقن العلم، ثم نزل مدينة الجزائر وأخذ عن شيخه سعيد قدورة وغيره ذهب إلى تونس وأخذ عن علمائها ثم توجه إلى الحج، وأخذ أيضا عن علماء مصر وتركيا والحجاز

ثم عاد إلى تونس ومنها إلى الجزائر، توفي عام 1668م، وله الكثير من المؤلفات "مقاليد الأسانيد"، "أسماء رواة الإمام أبي حنيفة"، "فهرست البابلي"، قال عنه ابن الفكون في كتابه "منشور الهداية": "أنه محمود السيرة وحريصا على تلاوة القرآن العظيم وحب القراء والمساكين وخدمتهم والتقرب إليهم وزيارته للعلماء والطلبة"، كما وصفه مترجموه أنه ذو ملكة وذكاء حاد وسعة علم في الحديث وله قوى وهيبة، وبعد كتابه "كنز الرواة" الذي يضم تراجم شيوخه ومؤلفاتهم من أعماله الرئيسية.

5- **يحي الشاوي**: لقبا وليس نسبا، فقد سماه والده تيمنا بالشيخ يحي الشاوي الذي استضافهم يوم ولادته، فهو ولد بمدينة الجزائر عام (1030هـ/1621م)، نشأ بها وأخذ العلم عن والده وعن أبو عثمان سعيد قدورة وعيسى الثعالبي وعبد الواحد الأنصاري وغيرهم، وأجازه العديد من العلماء مثل الشيخ عبد الكريم الفكون، كان عالم نحو ومفسر وفقه مالكي، زار مصر قاصدا مكة واتصل بعلمائها وأعيانها، تولى التدريس بالأزهر، ثم ارتحل إلى تركيا، ثم عاد إلى القاهرة، لما رحل إلى أنحاء الشرق الإسلامي ذاع صيته وامتدحه الشعراء والأدباء بقصائد كثيرة، ومن مؤلفاته "أصول اسم الجلالة"، شرح التسهيل، رسالة في أصول الفقه، وغيرها، توفي عام (1096هـ/1685م) عند عودته من الحج ودفن بالقرافة الكبرى بالقاهرة.

6- **عبد الرزاق ابن حمادوش**: ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/1696م، نشأ في أسرة متوسطة الحال لقبت بأسرة الدباغ لأن أبوه وعمه اشتهروا بالدباغة، تعلم عن طريق الدرس والاجازة والرحلة، حيث درس بالجزائر على يد المفتي محمد النيكرو والقاضي مصطفى العنابي والأديب محمد بن ميمون، وبالمغرب على يد أحمد الورززي ومحمد البناني وأحمد السرائري وأحمد بن المبارك، الذين أجازوه في رحلته الثانية، حيث كان يتردد على المغرب للتجارة، تنقل بين تونس والمغرب والمشرق أين استكمل دراسته وأخذ الطب عن العلامة عبد الوهاب الأدرق بفاس، فهو لم يقبل الوظائف الرسمية وفضل التجارة وتفرغ للتأليف والتنقل، وفتح مكتبة قرب المسجد الكبير بمدينة الجزائر أين عمل مقرئ لصحيح البخاري،

عمل على التجارب العلمية ودراسة الأعشاب وتركيب الأدوية له كتب كثيرة علمية منها "الجوهر المكنون" الذي ضاع معظمه ونشر باسم "كسف الرموز في بيان الأعشاب"، له تأليف في الفلك وتأليف في الإسطرلاب وآخر في الطاعون، وغيرها إضافة إلى هذا له كتاب في الرحلة يدعى "لسان المقال"، لا يعرف تاريخ وفاته بالضبط ويبدو أنه في عام 1205هـ/1791م.

7- أحمد بن عمار: ولد بمدينة الجزائر عام (1119هـ/1707م)، والده عمار بن عبد الرحمن عمار (التلمساني) المستغامي الأصل والولادة، الجزائري المنشأ والدار"، تولى الفتوى والخطابة بالجامع الأعظم وتصاهر مع أسرة علمية كانت تسكن مدينة الجزائر وهذا ما يؤكد ابن المفتي أنّ زوجته ابنة سيدي هدى، هو من أسرة اشتهرت بالعلم، وهو عالم وأديب ورحالة وناطقة عصره، تولى وظيفة الفتوى على المذهب المالكي عام (1180هـ/1766م) هذه في المرة الأولى التي لم تدم سوى شهورا، ثم تولاه مرة ثانية من عام (1180هـ/1766م) إلى غاية (1184هـ/1770م)، كما قام بالتدريس بالمدينة وخاصة بالجامع الأعظم، وتخرج على يده العديد من العلماء مثل أبي راس الناصري والعديد من العلماء من المغرب، تونس، الشام ومكة وله مؤلفات وهي "لواء النصر في فضلاء العصر" والرحلة المعنونة بـ"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب".

8- أحمد بن الحاج علي الزهار: هو من عائلة المرابطين وبيت ديني بالدرجة الأولى لم يتولى أفرادها مناصب علمية رفيعة باستثناء الإمامة ونقابة الأشراف، وقد ولد الزهار بمدينة الجزائر عام (1196هـ-1781م)، تعلم وتفقه على يد أكبر العلماء وتولى نقابة الأشراف بعد وفاة والده، درس الكثير من علوم الفقه والحديث لكن لما تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي عاد إلى تونس 1832م، له "مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر" والتي هي عبارة عن تقايد للفترة الأخيرة للعهد العثماني ومقاومة الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر، لكن ضاع منها جزء كبير الذي يخص فترة المقاومة، في تونس تردد على حلقات جامع الزيتونة، ثم عاد لقسنطينة ليشغل كاتباً لدى أحمد باي، ولما سقطت

سنة 1837م التحق بمعسكر أين شغل كاتب سر الأمير عبد القادر، الذي وبعد سقوط زمالة الأمير انتقل للمغرب وبقي 03 سنوات بتطوان يطلب العلم ويدرس الطلبة، ونتيجة كبر سنه عاد للجزائر عام 1743م، ليتولى نقابة الأشراف حتى توفي سنة 1872م.

9- **الورتلاني:** ولد الحسين بن محمد السعيد في بني ورتلان، ومن ثمّ نسبته الورتلاني عام (1125هـ/1713م)، توفي عام (1193هـ/1779م) وهو من أسرة عربية شريفة، نشأ نشأة بسيطة وحفظ القرآن في المدرسة القرآنية التي كان يديرها والده في سن مبكرة، وبعد أن كبر ذهب لبحث عن العلم في مختلف الزوايا، فتعلّم الفقه والنحو ثمّ تعلّم التوحيد والتصوف أصبح من المدرسين وشيخ الزاوية، كان يذهب للتدريس في بجاية، وتخرج على يده عدد كبير من الطلبة، وغلبة عليه الروح الصوفية أكثر من الفقهية وكان يتدخل بين الناس لحل مشاكلهم اليومية.

ألف الورتلاني عدّة كتب معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد وأكبر عمل ألفه "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، حج ثلاث مرات الأولى سنة (1135هـ-1740م) والثانية عام (1166هـ-1753م) والثالثة عام (1179هـ-1766م) سافر وصف الورتلاني المناطق التي مر بها وعلمائها وعاداتها، وتحدث عن مكة والمدينة أثناء موسم الحج اعتمد في هذه الرحلة على مصادر كثيرة فعن الجزائر اعتمد على مشاهدته الخاصة وعلى ما رواه العلماء الذين لقيهم فيها، كان يهتم خاصة بالزوايا والمرابطين وحياة العامة مع السلطة العثمانية، ومن الكتب التي اعتمد عليها "عنوان الدراية" للغبريني، وبذلك يعتبر الورتلاني لما ألفه في رحلته موسوعة أخبار عن العالم الإسلامي، وله أيضا في التصوف "شرح القدسية للأخضري" و"حاشية على كتاب المرادي" و"قصيدة ميمية" فيها 500 بيت في مدح الرسول (ص).

10- **أبي راس الناصري:** عاش ما بين 1165هـ/1752م-1238هـ/1823م، هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر المعسكري، فقيه مالكي، مفسر، نسابة، مؤرخ وخطيب وقاص، ومفتي ومدرس للعلوم الشرعية، كان إماما في المعقول والمنقول، ولد في بيئة فقيرة

بالغرب الجزائري، عاصر الكثير من الأحداث داخلية؛ مثل حملة اللورد اكسموث وفتح وهران 02 وثورة درقاوة، وخارجيا الدعوة الوهابية، الحملة الفرنسية على مصر، إصلاحات الدولة العثمانية، رحل مع والده إلى متيجة ثم مع أخيه للمغرب ليعود لمعسكر، درس على يد عبد القادر الراشدي، احمد بن عمار، ومرتضى الزبيدي، تردد على مدن جزائرية للتعلم والتعليم وسافر للمغرب وتونس والمشرق، لقب بالحافظ لسعة حفظه، له عدة مؤلفات أغلبها في التاريخ والأنساب وصل عددها 63 كتابا صغيرا وكبيرا، أهمها "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" و"فتح الاله ومنته بالتحدث بفضل ربي ونعمته" و"درء الشقاوة في حرب درقاوة" و"الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية" و"زهرة الشمايخ في علم التاريخ" وغيرها.

11- **ابن المفتي:** هو حسين بن رجب شاوش ولد 1095هـ/1688م، هو من الكراغلة والده

المفتي الحنفي حسين بن رجب شاوش، الذي يعد أول كرغلي تولى الافتاء الحنفي سنة 1102هـ/1691م، له "تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها".

12- **عمر بن محمد المانجلاتي:** يعتبر من أشهر العلماء في القطر الجزائري، وكان إليه المرجع

في كل العلوم، أخذ عنه الكثير من فضلاء وأعيان الجزائر منهم الشيخ ابن زاكور صاحب كتاب "أزهار البستان" الذي أخذ عنه في الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقہ توفي عام (1104هـ/1693م).

13- **ابن الميمون:** هو أبو عبد الله محمد بن ميمون النجار الجزائري، ولد بمدينة الجزائر من

أسرة اشتهرت بالعلم أخذ العلوم الفقهية واللغوية من علماء المدينة، تتلمذ على يده ابن حمادوش وقرأ معه العديد من الكتب مثل صحيح البخاري ومسلم، تولى القضاء على عهد الداوي محمد بكداش عام (1707/1710)، وعرف بنظمه للمقامات ومشاركته في المجالس العلمية، وألف كتابه "التحفة المرضية".

14- **أحمد البوني:** هو احمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني ولد سنة 1063هـ/1653م وتوفي

سنة 1139هـ/1726م، تميمي النسب، أسرته عريقة في العلم والتصوف، اشتهر بالفقہ

والتصوف، كان له نفوذ روحي بعنابة، جنح لاستعمال الموسيقى والإنشاد والحضرة، حظي بمكانة لدى يوسف باشا حاكم الجزائر، أجاز العيد من العلماء مثل الزبيدي والورثياني، برع في عدة علوم خاصة الحديث، له "نظم الخصائص النبوية" و"تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة" و"التعريف بما للفقير من التواليف" وغيرها لكن أشهر كتبه "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة"، "فتح الباري في شرح غريب البخاري" و"الغرر في شرح الدرر"، تشير المصادر أنه رحل إلى المشرق ودرس على يد العديد من العلماء، كما تصدر للإقراء بالأزهر.

## المصادر والمراجع:

- بو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، 1995م.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ج3.
- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972م.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج2.
- سعد الله أبو القاسم، تجارب في الرحلة والأدب، م.و.ك، 1983م.
- العقبى صلاح مؤيد ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م، ج1.
- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وت. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- ابن المفتي حسين بن رجب، تقييدات بن المفتي، تح. فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، 2009م.
- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الوسيط، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

## العلوم (أنواعها)

أولاً: العلوم الدينية والأدبية:

### 1- العلوم الدينية:

تشمل الفقه وأصول وعلم الكلام، وتفسير وقراءات وتوحيد، والحديث والإثبات، وقد وكثرت هذه الدراسات بين الجزائريين خلال العهد العثماني، إلى درجة يمكن القول بأن أغلب إنتاج الجزائريين في هذا العهد يكاد ينحصر في العلوم الشرعية والمجالات الأدبية والصوفية، التي انتشرت بكثرة في هذه الفترة والتي غلب عليها التقليد والحفظ والتكرار والاعتماد على ما خلفه السلف مما أعطاها صبغة دينية، ومن بين هذه العلوم الدينية نذكر:

#### 1-1- التفسير:

من أهم العلوم التي نحتاج إليها في فهم أحكام الشريعة ومعاني القرآن، لذلك اهتم به الجزائريون، حيث تناوله العلماء في مجالسهم ودروسهم، ويحتاج مفسر القرآن ثقافة دينية وتاريخية ولغوية واستقلال عقلي، وهو ما لم يتوفر في علماء الجزائر في العهد العثماني، لذلك التفسير لم يعرف التجديد، بل كان العلماء يكررون أقاويل من سبقهم لا كما تقبلها أو ترفضها عقولهم، فنجد التفسير كان شائعاً بين العلماء البارزين تديساً أكثر منه تأليفاً حيث انتهى القرن 10هـ/16م دون أن يسجل تأليفاً واحداً في تفسير القرآن، مثل محمد بن علي أبهلول، ابن لولو التلمساني، عبد القادر الراشدي القسنطيني، أبو راس الناصري، وعمر الوزان وعيسى الثعالبي، أما تأليفاً فهو قليل، فرغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية إلا أنها لم تنتج مفسرين بارزين في تفسير القرآن، وكذلك مدرسة بجاية وقسنطينة، ومن أهم المؤلفات نجد "الدر النظيم في فضل آيات من القرآن الكريم" لأحمد البوني حيث فسر بعض الآيات فقط، والتيسير إلى علم التفسير لأبي راس الناصري، الذي ألف (مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل في التسيير إلى علم التفسير)، وأيضاً عيسى الثعالبي له تفسير "الجواهر الحسان" الذي يعتبر من أوائل مؤلفاته واعتمد في تفسيره على ابن

عطية، وكان يقدّم تفسير للقراء حيث قال: "فقد ضمّنته بحمد الله، المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمّة من غيره من كتب الأئمة، وتقاة أعلام هذه الأمة، حسب ما رأيته أو رويته عن الإثبات، وذلك قريب من مائة تأليف..."، وقد نصح الثعالبي بقراءة تفسيره والعمل به لكي يحصل كل قارئ له على البركة، واشتهر بهذا الكتاب واحتوى على أسرار صوفية.

### 2-1- القراءات:

اشتهر الجزائريون في العهد العثماني بتدريس القراءات أكثر ممّا اشتهروا بالتأليف فيها، وقد كان التأليف في القراءات خلال هذا العهد أقل من التفسير، ورغم هذا فقد اشتهرت بعض المراكز بهذا العلم مثل؛ منطقة زاوية التي برع علمائها فيه وأتقنوه، حتى أضحت مقصدا لعلماء الجزائر، وحتى علماء المغرب وتونس، فالشيخ محمد مزيان التواتي المغربي الذي كان يذهب لزواوة لتعلم القراءات السبع، بعد قدومه من المغرب واستقراره بقسنطينة للتدريس، وممن اشتهر بتدريس علم القراءات نجد: محمد بن صولة بزواوة، الذي قرأ عليه الشيخ أحمد برناز التونسي القراءات السبع، ومحمد الحاج المناوي، الذي برع في عدة علوم خاصة بالقراءات ومحمد بن ناجي وأحمد الجزيري، الذي اشتغل في القراءات السبع، أما التأليف فنجد محمد بن شقرون بن أحمد المغراوي، صاحب كتاب (تقريب النافع في الطرق العشر لنافع)، ومحمد بن توزينت العبادي التلمساني، وتلميذه أحمد بن ثابت له (الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء)، أما الفكون فله (سربال الردة في من جعل السبعين لرواة الاقرا عدة).

### 3-1- الحديث:

اعتنى الجزائريون بعلم الحديث تديسا وتأليفا ورواية وإجازة، وربما يرجع هذا إلى كونه يعتمد على الحفظ وهم حفاظ مهرة، فعملوا على الكتب الستة في الحديث، دراسة وإسنادا وحفظا أحيانا، لكنهم اعتنوا بصحيح البخاري عناية كبيرة دون غيرهم من الكتب، فكتبوا عليه الحواشي والشروح وتدارسوه للبركة وفي المناسبات الدينية والحربية، كان يدرس في الجامع الكبير احتراما لمكانته، ولا يتولى إملائه إلا كبار العلماء وممن له

صوت حسن، وقد بالغ بعضهم برش ماء الورد نهاية ختم قراءته، مع جملة من الأدعية، وممن تولى سرد البخاري عبد الرزاق بن حمادوش، وكان الحديث يدرس للعمل به لا لدراسته فقط، لكونه مصدر تشريع إسلامي، وممن اشتهر في التأليف فيه محمد بن علي بن أبي الشرف" المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا"، وأحمد المقري الذي اشتهر بالرواية التي أخذها عن علماء المشرق والمغرب وعمه سعيد المقري، ودرس البخاري في مصر والمدينة والمسجد الأموي بدمشق، له مؤلفات عدة في السنة والحديث منها "فتح المتعال في مدح النعال" و" الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين"، وعبد الرحمن المجاجي له "فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها العارف بالله ابن أبي جمرة من صحيح البخاري"، وحاشية ابن عمار وغيرها.

## 2- الفقه:

يهتم بمعرفة الأحكام الشرعية فيما يخص العبادات والأمور الدنيوية، في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة.

وللحديث عن الإنتاج الفقهي في الجزائر، فطبيعي أن نركز على الفقه المالكي، لأن معظم سكانها يتبعونه، ومنذ مجيء العثمانيين انتشر المذهب الحنفي، وكانت فيه تأليف برزت فيها أسره العنابي، وعبد القادر الراشدي مفتي الحنفية بقسنطينة، كما برز من المالكية كل من يحيى الشاوي واحمد بن عمار و أحمد المقري، والملاحظ سيطرة مختصر خليل على الدراسات فقهية المالكية، ومختصر ابن حاجب، فنجد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي له "النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس" على مختصر ابن حاجب والشيخ مصطفى الرماصي له "حاشية لشرح التتائي لمختصر خليل"، حتى على المذهب الإباضي فنجد عبد العزيز الثميني. محمد بن محمود بن العنابي بالتأليف في هذا الباب بعنوان (شرح الدر المختار) في الفقه الحنفي ومحمد شقرون الوهراني له (الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين) والفكون له (الدرر على المختصر) و(محدد السنان في نحر إخوان الدخان) وغيرهم ممن ألف في الفقه.

## 3- الإثبات:

شاع في الجزائر خلال العهد العثماني حفظ الحديث وإسناده وقراءته كما انتشرت كتابة الإثبات أو الفهارس التي سجل فيها العلماء مروياتهم في الحديث والسند والكتب التي قرأوها، وكذلك تسجيل شيوخهم الذين درسوا عليهم، وتداولت هذه الإثباتات بينهم، وأصبح الإثبات ورواية علم الحديث وإجادة السند مما يتفخرون ويتباهون به، ويكتب الإثبات من ناحية الشكل إمّا كسجل تاريخي شخصي مثلا كتب ابن عمار، ومن أبرز علماء مدينة الجزائر الذين رويت عنهم الأحاديث عيسى الثعالبي، ابن عمار، سعيد قدورة.

## 4- التصوف:

سيطرت روحه على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر، وكان التأليف فيه أكثر من تدريسه، وهذا على عكس العلوم الدينية الأخرى، فنجد كتب التصوف تناولت الأذكار والأوراد والمناقب والشروح تخص القوائد الصوفية، وقد سيطر التصوف بنوعيه في الفترة العثمانية على جميع جوانب الحياة سياسيا واجتماعيا وخاصة ثقافيا، وهذا بوجه لا مثيل له، أين تبنته كل طبقات المجتمع من نخبة وعامة، حيث أصبح جزءا من ممارسة العلم، فكان علماء الجزائر يأخذون العهد على شيوخ الطرق بالمغرب أو بالمشرق خلال رحلاتهم العلمية أو في الحج، وأصبحوا يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والخرقة والسبحة والأسودين (التمر والماء) والمصافحة (العهد).

لقد شاع التصوف بين الفقهاء وجمع أغلبهم بين علم الباطن وعلم الظاهر، وحتى الإنتاج الفكري في تلك الفترة لم ينجو من حمى "التصوف"، وكان من المدرسين المشهورين من يدرسون التصوف في حلقات دروسهم ومجالسهم، وخصصوا له مصنفات كالفكون وسعيد قدورة والورثيلاني، فهذا الأخير كان يجتهد في دراسة التصوف مستندا إلى قول الإمام مالك بن أنس: «من أن الصوفي الذي لا يتعلم الفقه يعتبر زنديقا وأن عالم أصول الدين الذي لا يدرس التصوف يعتبر فاسقا»، ومن هذا المنطلق نجد العديد من المؤلفات لمؤلفين كابن الفكون والورثيلاني وقد سبقهما الصباغ وابن مريم وغيرهما ممن أرخوا

للمرابطين والأولياء الصالحين، وتناولوهم بالدرس والتعريف لتراجم الأولياء خاصة الذين عاصروهم."

وممن كتب في مناقب الصلحاء، نجد محمد بن محمد الصباغ القلعي في القرن 11م كتاب بعنوان (بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار) و(ريح التجارة) لعلي بن موسى الجزائري، كلاهما في سيرة احمد بن يوسف الملياني، وأرجوزة (الفلك الكواكبي في أولياء منطقة الشلف) لابي عبد الله بن المغوفل، ولابن مريم (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)، ومنشور الهداية للفكون وغيره من المصنفات.

## 2 - العلوم الأدبية:

كان الجزائريون يعتنون بالعلوم والآداب، فنجد منهم الشعراء والأدباء وأساتذة التاريخ والمشرعون، ومن بين هذه العلوم نجد:

### 2-1- النحو:

رغم أنّ الجزائريين لم يؤلّفوا كثيرا في علوم اللّغة إلاّ أنّهم اهتموا بالنحو، وحفظ متونه وبعض الشروح، وقد اشتهر بعض الجزائريين بالدراسات النحوية منهم: يحي الشاوي الذي ترك أربعة تأليف في النحو على الأقل، منها كتاب "أصول النحو" وهو تأليف صغير، ونظّم "لامية في إعراب اسم الجلالة"، وله "شرح على التسهيل لابن مالك" و"حاشية كبيرة على شرح المرادي"، وسعيد قدورة الذي وضع حاشية على "شرح خلاصة المرادي"، كما أنّه اشتهر كمدرس بوضع الحواشي، والشروح على الكتب التي كان يدرّسها لتلاميذه وسميت بـ: "رقم الأيادي على تصنيف المرادي"، أما الشيخ عبد الكريم الفكون له عدة كتب في النحو والصرف منها؛ فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف) و(شرح شواهد الشريف بن يعلي على الأجرومية، و(فتح الهادي في شرح جمل المجرادي، وخليفة بن حسن القماري (اللامية في نظر الأجرومية)، أبو راس الناصري ألف: الدرة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة- النكت الوفية لشرح المكودي على الألفية.

## 5- البيان والبلاغة والمعاني:

لقد أبدع العلماء في هذا المجال من بينهم: عبد الرحمان الأخصري الذي نظم (الجوهر المكنون في صدق الثلاثة الفنون) أي في البيان والمعاني والبديع، تحتوي على 171 بيتا وقد وجدت عناية كبيرة من العلماء في المغرب والمشرق، محمد بن محمود بن العنابي الذي اهتم بعلم البلاغة، فألف "التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية"، ونجد الكثير من محاولات العلماء في هذا الميدان من أجل العناية به لأنه كان ضعيفا عند الجزائريين، وأبي راس الناصري له (الدرة الأنيقة في شرح العقيقة)، عبد الله ابن أبي القاسم الثعلبي شرح قصيدة (الحلي) سماها (أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي).

## 2-2- النشر:

يشمل المقامات والرسائل الديوانية والإخوانية، والشروح الأدبية والقصص والخطب، كما يشمل على الوصف والتقاريز والتعازي وعقود الزواج الشروح الأدبية والخطب والقصص والإجازات الأدبية، وقد كان الأدب الجزائري في العهد العثماني غنيا ببعض هذه الفنون، ولكنه كان ضعيفا في بعضها كالخطب والقصص، حيث عمل الباي محمد الكبير على تشجيع هذا العلم فكان يجتمع حوله نخبة من المثقفين باعتباره قد جمع النظم والخطابة والشعر، ومن هذه الأعمال نجد الشروح الأدبية التي تعد شكل من أشكال النشر الأدبي الذي انتشر في العهد العثماني بين الأدباء بدل تأليف الروايات والقصص والتأليف في الظواهر الثقافية والنقد، والشرح الأدبي يكون على قصيدة نظمها الشارح نفسه، وقد يكون على قصيدة أو عمل آخر لغيره، وكانت فرصة لاستعراض محفوظاتهم وذوقهم الأدبي، وتميز أسلوبهم بالتميق، كما كان الكتاب يبدعون في كتابة العقود خاصة عقود الزواج ويظهرون فيها براعتهم اللغوية، منها شرح قصيدة المنداسي (العقيقة)، من طرف أبي راس الناصري (الدرة الأنيقة في شرح العقيقة) وابن سحنون (الأزهار الشقيقة المتצועة بعرف العقيقة)، وللناصر (الحل الحريرية في شرح المقامات الحريرية).

أما التقاريز والإجازات والعقود ففي التقاريز نجد تقريض أحمد بن عمار (الدرر على المختصر لابن حمادوش) وقد جمع فيه بين النثر والشعر، وله تقريض لرسالة لصديقه الوزير التونسي حمودة بن عبد العزيز، وفي الإجازات الأدبية منح عمر المانجلاتي إجازة لابن

زاكور المغربي، كما منح أحمد بن عمار إجازات إبراهيم السيادة التونسي ومحمد خليل المرادي الشامي، وفي العقود يذكر ابن حمادوش في رحلته نصوص عقود زواج كثير، ذات طابع فقهي أو أدبي.

وفي رسائل الديوانية، نظرا لأن الدارة تركية غلبت هذه اللغة على العربية، لذلك فالرسائل بالعربية لم تهتم بجودتها بقدر ما كانت تهتم بإيصال الفائدة، رغم وجود كتاب عرب جنب الحكام، ومما عثر عليه ما تبادله يوسف باشا مع الشيخ محمد ساسي البوني، التي بين سبب عدوله عن محاربة الاسبان وتوجهه لقمع تمرد ابن الصخري، وطلب منه الدعم والحصول على طاعة الناس وقد رد عليه الشيخ، الذي تلقى رسالة أخرى من الباشا مدحه فيها بالصلاح وأنه لبي طلبه في العفو على سكان عنابة، ونجد كذلك رسالة محمد بكداش إلى أحمد ساسي البوني سنة 1111هـ/1072م مدح فيها الشيخ البوني واعترف له بالعلم والولاية، أما الرسائل الديوانية فنجد العديد منها بين العلماء منها؛ ومن جهة أخرى نجد مراسلات عبدالكريم فكون مع علماء عصره من أمثال: أحمد المقرري، وسعيد قدورة، ومحمد تاج العارفين العثماني.

ومن أنواع النثر نجد الوصف وهو نوع من النثر الأدبي وأبرز من تناوله الورثياني وأحمد ابن عمار -الذي عرف باستخدام المحسنات البديعية والسجع- في وصف مشاعرهم عند عزمهم الحج، كما وصف هذا الأخير قصر الكاتب عبد اللطيف بالعاصمة، أما الخطابة فهي تعتبر من أبرز فنون النثر في الأدب العربي وشملت الدين والسياسة وغيرها، تراجع هذا الفن في العهد العثماني وانحصر في المساجد، حتى أن بعضهم كان جاهلا بها وتقدم لها، وممن أتقن فن الخطابة مصطفى البوني، سعيد قدورة، أحمد بن عمار، عبد الكريم الفكون، أما فن القصص والمقامات والذي يعنى بالقصص التاريخية والبطولية، وأشهر ما كتب التحفة المرضية لابن ميمون التي عدد فيها مناقب وبطولة محمد بكداش، ونجد مقامة (إعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار)، ومقامات ابن حمادوش (المقامة الهركلية) و(المقامة الحالية).

2-3-الشعر: تتمثل في المدائح النبوية، والمقطوعات الصوفية وقليل من الأشعار الغزلية والمقامات الناتجة عن المناسبات وينقسم إلى:

#### أ- الشعر الديني:

كان الدين من أهم الأغراض التي تطرق إليها الشعراء، ولا سيما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق لزيارة قبره، ومن أمثلة ذلك ما قاله الشاعر عبد الله بن عمر البسكري عن المدينة المنورة:

دار الحبيب أحق أن تهواها      وتحن من طرب إلى ذكراها  
فأنت أنت إذا حلت بطيبة      وظللت ترتع في ظلال رباها  
أما محمد بن محمد العطار الجزائري

أهدت لنا طيب الروائح يثرب      فهبوا بها عند التنسيم يطرب

واشتهر المانجلاتي وابن عمار بنظم القصائد المديحية والموشحات، الأول له ديوان (تزري بالأزهار الندية)، والثاني له العديد من الموشحات في المديح، منها: مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله ناداك ضارع      على البعد محفوظ الوداد سليمه  
مشوق إذا ما الليل روافه      تهمّ به تحت الظلام همومه  
إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا      شجاه من الشوق الحديث قديمه  
ولي يا رسول الله فيك وراثه      ومجدك لا ينسى الزمام كريمه  
فلا تقطع الحبل الذي قد وصلته      فوجودك موفور النوال عميمه

#### ب- الشعر السياسي:

لم يرتبط الشعر بالسياسة في الجزائر خلال العهد العثماني إلا في مناسبات معدودة، تتمثل في الجهاد ضد العدو خاصة الإسبان، ومدح بعض الأمراء طمعا في المال، وقد قيل الكثير من الشعر في التحريض على الجهاد، وفي التهئة بالنصر كما مدح الشعراء الوجود

العثماني بالجزائر وجهادهم وتوحيد البلاد، منها ما ذكره الشاعر عبد الرحمن بن موسى في مدح حسن بن خير الدين باشا حيث فتح حصن مرسى وهران:

هنيئاً لك باشا الجزائر والغرب بفتح أساس الكفر ومرسى قرى الكلب

كما نجد شعر "الاستصراخ"، من أجل تحريض الحكام على الجهاد، منهم الشاعر محمد أقوجيل الجزائري الذي خاطب الداوي أحمد باشا (1695-1698م) وحثه على استرجاع مدينة وهران جاء فيها:

ولتأنتقت نحو الجهاد بقوة والكفر اقطع أصله بذكور

جهاز جيوشا كالأسود وسرحن تلك الجوارى في عباب بحور

أما في المدح فنجد ابن الميمون في قصيدة يمدح فيها الداوي محمد بكداش بقوله:

يا سيدي محمد "بكداش" النجل الأمجد

علي الولي الرضي الهاشمي الأنجد

قد سدت كسل ملك وفقته بالسؤدد

لقد فتحت وهرانا بالعسكر المؤيد

بالنصر والرعب معا وكل سيف ماجد.

ت- الشعر الاجتماعي:

وهو شعر الإخوانيات الذي من خلاله يتبادل الشعراء المدح والهجاء والفخر... الخ

فيما بينهم، ومن أمثلة ذلك العياشي يمدح شيخه عيسى الثعالبي:

إذا غالبتك النائبات فغالب بفخر فحول العلم عيسى الثعالبي

أما في الرثاء نجد سعيد قدورة الذي رثا شيخه بقصيدة طويلة مطلعها:

مصاب جسيم كاد يصمى مقاتلي ورزء عظيم قاطع للمفاصل

## ث - الشعر الذاتي:

يعتبر من أصدق أنواع الشعر، وقد حفل في العهد العثماني بعدد من القصائد الذاتية التي قيلت سواء في الوصف، والتأمل والشكوى والحنين إلى الأوطان، ومن أبرزهم أحمد ابن عمار بقوله:

وأحضر تعليلا بشوقي بالمنى	ويطرق وجد غالب فأغيب
مناي لو أعطيت الأمانى زورة	يبث غرام عندها ووجيب
نقول حبيباً إذ يقول تشوقاً	عسى وطن يدنو إلي حبيب .

## 3- العلوم العقلية:

لم تحظ العلوم التجريبية والعقلية باهتمام كبير من طرف العلماء، حيث يقول وليام شالر: "أما حالة العلوم، فإنّ ممّا لا جدوى فيها الحديث عنها، حيث أنّها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة، محتقرة، بل إنّ علم الطب لا يوجد من يدعيه، هذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز"، ولكن هذا لا ينفي وجود بعض المحاولات منها:

## 3-1- الطب والجراحة والصيدلة:

ظهر في هذه العلوم بعض المحاولات فمثلاً نجد العالم عبد الرزاق ابن حمادوش الذي اهتم بالطب ويقال بأنّه أصبح عشّاباً وصيدلانياً وطبيباً في بعض الأمراض، وكان كثير القراءات في كتب الطب خاصة تأليف ابن سينا، له تأليف عديدة في الجانب العلمي منها "الجوهر المكنون"، ولكن هذا الكتاب ضاع ولم يبق منه إلا الجزء الرابع الخاص بالأعشاب والأدوية، نشر في الجزائر تحت عنوان: "كشف الرموز في بيان الأعشاب"، ومؤلف (تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج)، وحرصه على تعلم الأعشاب حيث قال: "وفي الثاني عشرة خرجت مع بعض الإخوان، أحدهم يعرف الأعشاب لتتعلم منه، فتعلمت الأفيون (الأفيون)، قطعاً منه ما شأننا في جبل بومعزة تحت بوزريعة".

كان البايع محمد الكبير يعتني بالطب ويشجع العلماء على التأليف فيه واختصار المطولات منه، ويذكر كاتبه ابن سحنون أنه كانت للبايع في الطب اليد الطولى، كما كان يصف للناس الدواء ويدفع لهم ما حضر منه، حتى أن المساكين كانوا يفزعون إليه كما يفزعون إلى طبيب ماهر، فقد أمر كاتبه ابن سحنون بجمع طب القاموس وزاد عليه من كلام الأطباء حتى صار تأليفا هاما وقد كافئه عليه ب 50 سلطاني، وممن دعمهم البايع الشيخ عبد اللطيف، وضع كتاب سماه (المنهل الروي والمنهج السوي في الطب النبوي). ورغم اشتهاار محمد بن أحمد الشريف بكتب المناقب والتصوف فإنه قد ألف أيضا رسالة في الطب النبوي سماها (المن والسلوى في تحقيق معنى حديث لا عدوى) هي رسالة في 13 ورقة انتصر فيها للطب النبوي، وقد أهداها بنفسه إلى السلطان العثماني أحمد باشا سنة 1737م).

كما أن عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني قد جمع في كتابه (ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطالب والطبائع والحكمة) بين التصوف والفلسفة والطب. ولكن أبرز من ألف في الطب، بعد ابن حمادوش، أحمد بن قاسم البوني الذي خلط بين الطب المعروف والطب الروحاني، من ذلك تأليفه لمسمى (إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة) في مختلف الأمراض، الذي ألفه سنة 1705م، وله كذلك (مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب)، وكان قد وضعه نظما في آخر حياته سنة 1759م، خلط فيه أيضا بين العلم والخرافة، وقد تحدث فيه عن المأكولات المفضلة وعن أدب الضيف مع المضيف، وما أكله النبي (ص).

وقد ذكر أحمد بن سحنون أنه نظم قصيدة في الطاعون الذي هاجمهم سنة 1488م، وألف أبو راس الناصر كذلك كتابا سماه (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)، ومن الذين ألفوا في الوباء الذي أصاب مدينة الجزائر بالخصوص، محمد بن رجب الجزائري الذي لا نعرف الآن أن له مؤلفات أخرى. فقد جمع سنة 1786م، رسالة سماها (الدر

المصون في تدبر الوباء والطاعون، كما نجد محمد بن علي بن باديس الصنهاجي قد ألف كتابا في الأدوية ومنافعها سماه (المنافع البينة وما يصلح بالأربعة أزمنة) .

### 3-2- علم الحساب والفلك:

كان الانتاج فيه ضئيلا، ومن أشهر من ألف فيه العالم عبد الرحمن الأخرزي له (رسالة في علم الحساب) نظمها في 117 بيتا، من أجل فهم وتطبيق "مادة الفرائض" وقسمة التركات وقد خصص و(الدرة البيضاء) في 500 بيتا في الحساب والفرائض والتركات، وله (السراج) في الفلك محل اهتمام وشرح بين الطلاب والعلماء في المشرق والمغرب، ونجد وسحنون بن عثمان له (السهم الربط في الخمس خالي الوسط) لكنه لا يخلو من السحر والخرافة الونشريسي وابن حمادوش الذين كانوا اعتمدوا على مؤلفات علماء القرن 15م، وممن ألف في علم الحساب والفلك في العهد العثماني محمد بن أحمد الصخري الأندلسي، الذي اهتم بالأشكال الهندسية ودوران الكواكب، ومعرفة الظل وغيرها، وتعتبر أعماله من أهم الأعمال العلمية فهي غير مختلطة بالأفكار الصوفية والغيبيات، ابن حمادوش له تأليف على الرزنامة، وكتاب في علم الفلك والإسطرلاب، وتأليف في القوس لرصد الشمس، وتأليف عند الرخامة الظلية بالحساب، وكتاب في صورة الكرة الأرضية، وتأليف "بغية الأديب في علم التكعيب" وله اسم "فتح المجيب في علم التكعيب".

### 3-3- المنطق:

علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، ومن فوائده تمييز الخطأ من الصواب، وبه يعرف الصحيح من الفاسد، كان إنتاج الجزائريين فيه ضئيلا، لأنه يتطلب الاطلاع الواسع على كتابات الأوليين والأجانب والإضافة عليها، وبسبب طغيان علم التصوف على الجزائريين، ولكن نجد أن بعض العلماء قد اشتغلوا به أمثال؛ الشيخ عبد الرحمن الأخرزي في منظومته (السلم المرونق)، والتي جاءت في 122 بيتا تناول فيها علم المنطق والحكمة فأصبحت موضع اهتمام علماء في المغرب والمشرق كمصر والهند والسودان... الخ، حيث طبعت وتناولها علماء بالحفظ

والدرس، وسعيد قدورة الذي وضع حاشية على السلم بدأها ب: " الحمد لله الذي علّم الإنسان من حقائق التصورات ما لم يكن يعلم، وأطاعه على دقائق التصديقات الموصلة إلى طريقة الرشد"، محاولا إقناع من يعترض التأليف في علم المنطق، وأبي راس الناصر شرحا على سلم الأخضري سماه (القول المسلم في شرح السلم)، وعبد الرزاق ابن حمادوش له (الدرر على المختصر) وهو يحتوي على سبع وسبعين ورقة، حيث قال: "... تمّت نسخ مختصر السنوسي في المنطق بلا شرح وشيخ الإسلام على المنفرجة... تمّت حاشية سيدي حسن اليوسي في المنطق....".

## المصادر والمراجع:

- ابن حمادوش عبد الرزاق، لسان المقال في النبأ عن النسب والحال، تح. أبو القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر، 1983م
- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ج1، ط1، دار البلخي، دمشق، 1114م، ص185.
- ابن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج2.
- سعد الله، أبو القاسم شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع. إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- شذري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة الجزائر 02، 2018م.
- ابن عمار أبو العباس أحمد، حلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1903م
- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- ابن مريم عبد الله محمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.
- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

## الحواضر الثقافية

### 1- تعريف الحاضرة:

ج. حواضر، وهي الحاضرة عند ابن منظور هي خلاف البادية وهي المدن والقرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي كان لهم بها قرار، فهي حسب معجم اللغة العربية المعاصرة المدن والقرى أو مدينة كبيرة أو أهم المدن في الدولة في احدى النواحي، مثل بغداد حاضرة الخلافة في العهد العباسي، وقد تميزت الجزائر في العهد العثماني بعدة حواضر علمية، كانت زاخرة بالمؤسسات التعليمية والعلم والعلماء، ومقصدا للطلاب من داخل وخارج البلاد منها:

#### 1-1- مدينة الجزائر:

تعد مدينة الجزائر أهم الحواضر العلمية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، ويرجع هذا إلى نشاط جوامعها الكبرى ومدارسها، وبفضل مساهمة علمائها في الحياة الثقافية بالمدينة، إضافة إلى العلماء الأندلسيين الذين توافدوا على المدينة، خاصة بعد سقوط غرناطة، وازداد عددهم بها بعد قرار الإسبان بطرد المسلمين نهائيا من الأندلس، وقد كانوا مكسبا ثمينا للمدينة لمساهماتهم الفعالة في النهوض بعدة مجالات بها، ومنها المجال الثقافي، من خلال تأسيسهم بالمؤسسات العلمية والتدريس بها.

بفضل مساهمة الأندلسيين عرفت نشاطا علميا وفنيا، حيث مارسوا التعليم في مدرسة الأندلس والقشاش، وكان لهم دور في الأدب والثقافة والفن، وان كان دورهم بها لا يرقى إلى مستوى ما وصل إليه غيرهم ممن استقروا ببجاية. كما شهدت نهضة عمرانية خلال القرنين 16-17م نتيجة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وبقدوم الأندلسيين، وهو ما جعلها تحتل الصدارة بين مدن البلاد، حيث أدخل الأندلسيون فن العمارة إليها ولغيرها من المدن مثل البليدة وشرشال والقليعة ودلس فشكلها كان في أغلبها تتألف من طابق أرضي يعتمد على أعمدة خشبية ومقام بالأجر والطين المعالج، وقد تستعمل فيه الحجارة كما هو الحال في

منازل دلس وشرشال، وتفتح بيوته المستطيلة التي لا توجد فيها التهوية الخارجية على فناء صغير تحف به الأفواس ولا يخلو وسطه من عين ماء أو بئر خاص والأشجار المثمرة. وقد قال عنها الجامعي في القرن 16م: "فهي - والحمد لله - إلى الآن دار الجواهر الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل، وتبنت العلماء والصالحين كما تبنت السماء البقل... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء مساجدهم بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة... وكلهم متحلون بأحسن الصفات، متزلعون بعلم النحو والفقه والحديث وإحياء ليلة المولد النبوي". أما التمغروطي فقد ذكر أنها كانت عامرة كثير الأسواق كثيرة الجند حصينة لها ثلاثة أبواب وفيها المسجد الجامع الواسع وإمامه مالكي، كما فيها ثلاثة جوامع خطبة أحدها للترك وإمامه حنفي ومرساها عامر بالسفن، وهي أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اسطنبول الصغرى، وطلبة العلم فيها لا بأس بهم والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية وتوجد بها كتب الأندلس كثيرة.

لقد كانت خلال العهد العثماني مركزا ثقافيا يقصده العلماء والطلبة من المدن الأخرى والأرياف، فقد كانت مقصدا كذلك للطلبة من داخل الجزائر وخارجها من أشهر مراكزها التعليمية المسجد الكبير الذي كانت دروسه كثيرة، وصلت 12 حلقة يوميا، يقدمها 19 أستاذا، أبرزهم سعيد قدورة وابنه محمد وعلي الأنصاري واحمد بن عمار ومحمد بن الشاهد وعلي بن الأمين، إضافة إلى العلماء الوافدون من خارج الجزائر، أين كانت الدروس بالجامع الكبير تضاهي أو تفوق أحيانا دروس مسجد الأمويين بدمشق والحرمين الشريفين نظرا لوجود علماء بارزون به.

كما كانت مقصدا للعلماء والطلبة من داخل البلاد كانت مقصدا للعلماء من المشرق والمغرب خلال هذه الفترة، حيث قصدتها الكثير من العلماء؛ مثل التمغروطي الذي وفد عليها خلال سفارته نحو اسطنبول سنة 1586م، الحسن الوزان، والمؤرخ أبو القاسم الزياني صاحب الترجمانة الكبرى، الذي أقام في مدينة الجزائر وتلمسان، والفيقيه محمد السوسي الفاسي الذي مكث مدة بقسنطينة ثم استقر بالجزائر ومدح حسين باشا سنة 1611م طمعا

في منصب المفتي بالمدينة، لكنه لم ينل إلا منصب المدرس. أما من تونس فنجد محمد الشافعي الباجي ومحمد الزيتوني التونسي الذي تولى القضاء الحنفي بها عهد الداوي محمد بكداش.

### 1-2- قسنطينة:

تعد أهم حاضرة ببايلك الشرق وهذا منذ العهد الحفصي، وتعتبر مركز إشعاع علمي وثقافي، فقد كانت تعج بالمؤسسات العلمية والمكتبات الخاصة والعامة الغنية بكتب المؤلفين المحليين أو الكتب التي جلبت عن طريق الحج أو الأندلسيين، كما عرفت بكثرة الأسر العلمية مثل، ابن الفكون، ابن باديس، عبد المؤمن، الكماد، ابن جلول، ابن نعمون، بشارزي... كما برز فيها عدة علماء على غرار عبد الكريم الفكون، وعمر الوزان... قصدها أهل زاوة للتجارة والعلم والعمل، كما كانت تزخر بمنشآت عمرانية، واكتسبت شهرة في العالم الإسلامي لا تضاهيها فيها إلا فاس والقاهرة، فعمر الوزان ضع صيته حتى خارج الجزائر، فقد كانت تأتيه الأسئلة من فاس وغيرها.

وقد ذكر الوريثاني أنها مدينة غير خالية من الفضلاء والنجباء والصلحاء وأعيان الوقت، فقد كانت أكثر المدن اعتناء بالعلم والعلماء وبالمراكز العلمية أهمها المدرسة الكتانية ومدرسة سيد لخضر، والجامع الكبير، الذي كانت تعقد فيه حلقات الدروس بجامعها الأعظم، أما المدارس فكان أشهرها مدرسة ابن الفكون والمدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي، التي وضع لها نظاما صارما، حيث شملت على مسجد وخمسة غرف، واحدة للمدرس وأربعة للطلبة وخضعت لنظام داخلي دقيق وقد تام تخصيص راتب للمدرس وإلزامه بتقديم ثلاثة دروس يوميا.

وتجدر الإشارة أنها كانت مقصدا للكثير من العلماء والطلبة من خارج الجزائر مثل محمد بن عبد الواحد اليستيني المغربي، عبد الله المضغري ومحمد السوسي الفاسي، وأبي عبد الله محمد بن مزيان السوسي الذي جاء إلى قسنطينة وتصدى للتدريس ثم انتقل إلى باجة بتونس وهناك توفي، أبو سالم العياشي صاحب الرحلة العياشية (ماء الموائد).

## 1-3- تلمسان:

كانت خلال الفترة الزيانية أهم حواضر المغرب الأوسط، حيث كانت مقصدا للكثير من طلبة وعلماء المغرب وغيرهم، للدراسة لدى علمائها الذين بلغت شهرتها الآفاق، لكنها فقدت مكانتها خلال العهد العثماني نتيجة التواجد الاسباني بوهران الذي أدى الى تدهور اقتصادي واجتماعي وثقافي أدى الى هجرة العديد من علمائها نحو المغرب فرارا من الاسبان ثم من العثمانيين، ومن العائلات العلمية التي هاجرت نجد عائلتي الونشريسي والمقري، ونجد كذلك سعيد المنداسي الذي هاجر للمغرب كتب قصيدة ذم فيها الأتراك وما آل اليه وضع تلمسان:

أمن قادر بالله يحمي تلمسانا      فإن بها من قوم يأجوج عدوانا  
 بنى السد ذو القرنين للناس رحمة      فيا ليته من شوكة الترك هنانا  
 فما دب فوق الأرض كالترك مجرم      ولا ولدت حواء كالترك إنسانا

أما ما قاله في العلماء الموالين لهم، منهم المفتي "ابن زاغو" الذي أنكر عليه مسابرة الحكام وسوخته عن ظلمهم لسكان تلمسان.

فمنهم قرين السوء مفتي بلادهم      تود العباد للترك كانوا ولا كانا  
 فقل لابن(زاغو) في الضلالة أئمة      تدبر لحاك الله ما قال مولانا  
 فإن أمير الترك فرعون قائم      وأنت جليس السوء في زي هامانا  
 أتهدم دار العلم في خانك الذي      تبيت وتضحى فيه ويحك سكرانا  
 فأنت لسان الترك والسيف لافظ تسر      ويمضي السيف قولك إعلانا  
 لقد كنت حبرا بالمدينة صالحا      فصرت بها أبا القراميط حمدانا  
 قتلت فحول العلم صبيرا ولم تنزل على      عهد المعلوم في الزيغ هامانا  
 ألم تعلم أن الله بالترك قادر      وأسرع بطش منك لو كنت يقظانا.

أما أبي راس الناصري فقد ذكر أنها كانت مليئة بالقراءة والتكبير والتهليل، أما الآن فقد استولى على أكثرها الخراب وأصبحت جامدة ولم تعد كما الأمس.

لكن ورغم هذا استقطبت العديد من العلماء، كما اشتهرت بكثرة مساجدها ومدارسها وعلمائها أشهرها مسجد الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام ومدرسة مازونة، التي كانت منارة علمية ومركز سياسي بعدما اتخذها العثمانيون عاصمة للبايلك، قصدها الكثير من العلماء.

#### 1-4- مازونة:

كانت أول عاصمة لبايلك الغرب 1563م، قبل أن تنتقل إلى معسكر ثم وهران سنة 1792م، وصفت مازونة منذ القدم بمدينة العلم والثقافة، وسميت بأمر الأحكام "المكنونة" عرفت حركة علمية وثقافية كبيرة خاصة بعد أن أصبحت عاصمة لبايلك الغرب، ونتيجة لنزوح علماء الأندلس إليها تطورت الحركة العلمية، كما أن المهتمين بالحركة العلمية لم ينتظروا صدقات الحكام ولا هبات الأمراء، بل تولوا مهمة التربية والتعليم وفق ما هو متاح لها من إمكانيات ومن صدقات المحسنين من أبناء المدينة، حيث كان لهذه المدرسة نظام خاص وتقاليد استمدتها من تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، واستمرت في إشعاعها العلمي رغم انتقال عاصمة البايلك إلى معسكر ثم وهران، ومقصدا لطلاب ندرومة ومستغانم وتنتس وتلمسان ووهران، أبرز من تخرج منها أبي راس الناصري، وقد اشتهرت مدرسة مازونة بالحديث وعلم الكلام وخاصة الفقه، حتى قيل "مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري"، وقد وصف أبي راس الناصري المدينة في أواخر العهد العثماني وهو الذي أقام فيها مدة ثلاثة سنوات بصفة طالب علم قائلاً "... ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها وتجارية طلبتها، وقريحة أشياخها سافرت إليها...".

#### 1-5- معسكر:

اشتهرت المدينة بمكانتها العلمية خلال العهد العثماني، خاصة القرن 18م، حيث استفادت من إصلاحات الباي محمد الكبير، الذي شيد بها مدرسة والمسجد الكبير المعروف باسمه، وبرز فيها علماء وفقهاء متضلعون في علم التوحيد وشعراء أدباء أمثال مصطفى الرماصي وأبي راس الناصري وابن سحنون الراشدي وابن هطال التلمساني، والطاهر بن حوا وعبد القادر المشرفي ومصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي وغيرهم.

في حين نجد أن أشهر عائلة توارثت الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس هي عائلة المشرفي، أشهرهم عبد القادر المشرفي الذي أسس زاوية بمسقط رأسه، وبرع في علوم الأصول والفروع والتدريس، أما حفيده محمد بن عبد الله المشرفي له مؤلف في المتعاونين مع الاسبان، (بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبنّي عامر)، فقد برع في علم المعاني والبيان والمنطق، أما مصطفى الرماصي المشهور بالفقه، فقد كان المرجع في الفتوى والنوازل الفقهية، كما اشتغل بالتدريس بها، خاصة بالرباط في الفتح الأول لوهراّن 1708م، وأشهر مراكزها التعليمية الجامع الكبير الذي بناه الباي محمد الكبير من ماله الخاص، والمدرسة المحمدية التي وصفها ابن سحنون بقوله: "كاد العلم أن يتفجر من جوانبها"، ومعهد القيطنة الذي أسسه جد الأمير عبد القادر مصطفى بن مختار الغريسي كما انتشرت فيها العديد من الزوايا، مثل زاوية الشيخ المشرفي وزاوية محمد بن يحيى السلماني، الزاوية الراشدية والزاوية لقادرية بالقيطنة، وزاوية الشيخ عبد الرزاق الإدريسي وزاوية عبد الرحمن المحمودي الإدريسي وزاوية الشيخ محمد المشرفي الإدريسي وغيرها.

### 1-6- بجاية:

هي الأخرى فقدت مكانتها رغم شهرتها التاريخية، لكن بقيت مقصدا لأهل زاووة من أجل طلب العلم والتجارة، ويرجع سبب تراجعها هو تهديم الإسبان لعمرانها وفرار علمائها إلى بوادي زاووة، مما جعلها تفقد مكانتها العلمية، وهو ما أشار إليه التمزروطي: "مدينة عظيمة، في القديم كانت دار علم ومستقر العلماء والصالحين... وبجاية إلى الآن خراب هدمها النصارى... ولم يبق بها إلا ديار قلائل... وقلعة صغيرة ينزل بها متولي الترك يمنع المرسى من العدو".

### 1-7- عنابة:

شهدت ازدهار عمرانها وعلمي حيث نشطت بها عائلات علمية مثل البوني والعنابي، وأشهر مساجدها جامع سيدي مروان، ومن علمائها أحمد ساسي البوني الذي وردت عليه رسائل من قسنطينة يطلبون فيها إبداء رأيه في مسألة حضانة انقسم حولها العلماء، كما

نجد أسرة العنابي التي توارثت خطة الإفتاء والقضاء في المدينة كما يعد محمد العنابي من أهم علمائها حيث أفتى في مسائل عصره وألف "السعي المحمود" تناول فيه إصلاح الدولة وتجديد النظم وناقش التقدم الصناعي والعسكري الأوربي.

### 1-8- منطقة زاوية:

عرفت بكثرة زوايا، وكانت مقصدا للطلبة من مختلف جهات الوطن، وخارجه من تونس والمغرب، منهم من فضل الاستقرار فيها مثل الغربي الفاسي الذي عمل مدرسا بها، وحسب الفكون فإن الكثير من علماء المغرب الأقصى قد زاروا منطقة زاوية خلال هذه الفترة، وقد ازدهرت هذه المنطقة ثقافيا نتيجة؛ فرار علماء بجاية نحو بوادي زاوية بسبب الاحتلال الاسباني سنة 1510م، انتشار الزوايا بكثرة بها والمساجد والكتاتيب والمعمرات، التواجد الأندلسي بها، إضافة إلى قرب منطقة زاوية من الحواضر الإقليمية بالجزائر جعلها مقصد طلاب أهل زاوية للأخذ من علمائها مشايخ مدينة الجزائر وقسنطينة، ومن أشهر الزوايا بها زاوية صهاريج، زاوية سيدي منصور، زاوية عبد الرحمان اليلولي. ويعد الورثيلاني والشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري (بوقبرين) من بين أشهر علمائها.

### 1-9- بسكرة:

بما أنها كانت محطة من محطات الحج، فقد خلقت فرصة لاحتكاك العلماء الجزائري مع نظرائهم من المغرب، وما ورد في رحلة العياشي من تبادل للأفكار ومناقشة المسائل العلمية خير دليل، لكن ورغم سعة مسجدها وجماله إلا أنه حسب العياشي لم يكن يرتاده الكثيرون ولا نكاد نرى فيه مدرسا ولا طالبا، وربما يرجع هذا حسب قول العياشي إلى أنه لما تملك منها الأتراك سنة 1552م، بنوا فيها حصنا منيعا واضروا بأهلها، وهو نفس ما ذكره الورثيلاني في القرن 18م أن ظلم الأتراك وصراعهم مع السكان جعل منها أقل أن تقارن بمدينة صغيرة لانعدام المنشآت المعمارية بها، وأن الخطط الشرعية أصبحت يتصرف فيها الأتراك وكأنها ملك لهم، وهذا نتيجة إندراس العلم وأهله فلا نكاد نجد طالبا بالمسجد الكبير يقرأ القرآن وبتعلم، أما أهل الخنقة فقد كانت لهم رغبة في العلم والتعلم، انشغلوا بالفقه والحديث والنحو الذي اعتنوا به صغارا وكبارا على عكس علم الكلام والمنطق، وعلم التوحيد

بحجة أن الله لا يحتاج لمعرفته إلى دليل. أما باقي المدن الصحراوية فلم تحظ بالدراسة، رغم كونها محطات للقوافل، التي كان بها علماء، ومن أشهر العلماء الفقيه خليفة بن حسن القماري من واد سوف، له نظم في الفقه (جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل) كانت له مراسلات مع علماء خنقة سيدي ناجي وبسكرة وكذلك مع علماء المغرب مثل عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي التقاه ببسكرة، في رحلة الحج، لأنه من عادة علماء البوادي الخروج وقت الحج للقاء العلماء من داخل وخارج الجزائر في محطات استراحة القوافل.

## المصادر والمراجع:

- بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م، ج1.
- الحفناوي أبو القاسم ، تعريف الخلف برجال السلف مطبعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2
- بن خروف عمار ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، دار الامل، الجزائر، 2008م، ج2.
- ابن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2003م.
- سي يوسف محمد، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني" **الحياة الفكرية في الولايات العربية**، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ج1.
- شكري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، رسالة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2006م.
- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وت. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- الكتاني عبد الحي ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ج1.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج04.
- ميسوم ميلود ، "ملاحم من الحياة الثقافية بحاضرة مازونة خلال العهد العثماني"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد 10، جامعة شلف، الجزائر، جوان 2019م.

- ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.
- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
- الورثياني الحسن، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.

## التصوف والطرق الصوفية

### 1- التصوف وتطوره:

#### 1-1- لغة:

يذكر "القشيري" أن اسم "الصوفي" و"التصوف" فلا اشتقاق له في اللغة العربية، والظاهر أنه كاللقب، فيقال تقمص أي لبس قميصا وتصوف أي لبس الصوف.

أما اصطلاحا فقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة "صوفي" فقد أرجع البعض أصل الكلمة إلى الصوف الذي في نظرهم هو لباس الزهاد، لكن هناك من ينفي هذا، لأن أهل التصوف لم يختصوا بلبس الصوف حسب الكثير من العلماء، في حين أرجعه بعضهم إلى أهل "الصفة"، وهم من زهاد المسلمين وفقرائهم الذين لم يكن لهم سكن، فسكنوا صفة المسجد، وهناك من قال أنه تمت تسميتهم بـ"صوفية" لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم، أما البعض الآخر فيرجع أصل التسمية إلى "صوفة" وهو رجل تفرغ لعبادة الله بالحرم المكي، ويدعى "الغوث بن مر" المكنى "بصوفة" لأن والدته نذرت إن عاش لها تعلق له صوفة على رأسه، وفي رواية أخرى أنها نذرت أن تربطه إلى الحرم فأصابه الحر وسقط فقالت أمه ما صار ولدي إلا "صوفة"، وسمي كل من اتبعه في اعتكافه "صوفي".

كما عرفه ابن خلدون في مقدمته بقوله هو: "علم من علوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تنزل في سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين... أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وحياة والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة»، أما عن معنى كلمة التصوف فقد خصّه العلماء بالكثير من التعريفات منها أنه «استرسال النفس مع الله على ما يريد»، وقيل: «هو ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع». «الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ديني».

## 1-2- تطور التصوف:

لقد مر التصوف بمراحل قبل أن يصل إلى ما هو عليه الآن، حيث كان في البداية عبارة عن الزهد في متاع الدنيا وترك ملذاتها، وبهذا فقد كان يعني ترك كل ما يشغل العبد عن التقرب إلى الله وهو سلوك المتصوفة الأوائل عملاً بقول الرسول "ص" «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

بعدها انتقل هذا السلوك الزهدي مع الوقت إلى ما يسمى بالتصوف، بعد اختلاط المسلمين بشعوب وديانات أخرى، وانغمسوا في ملذات الدنيا خاصة منذ العصر العباس الأول (القرن 2هـ/3هـ). واختلاط المسلمين وامتزاجهم بثقافات الفرس والروم والهنود، والصينيين، لذلك يقول "ابن الجوزي" أن: «الصوفية طريقة كان ابتداءؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إلى السماع، والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة لما يجدونه من زهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يجدون عندهم من الراحة واللعب».

ويشير ابن خلدون إلى هذا التحول بقوله: «إن إقبال الناس على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة».

وبهذا تطور الزهد إلى التصوف الذي مورس بشكل فردي في البداية، حيث مارسه العديد مثل أبي الفيض ثوبان (ذو النون المصري. ت 958م) ورابعة العدوية (801م)، ليتحول فيما بعد إلى مذهب قائم على أركان مدعمة بنصوص مدونة من القرآن، وسمي علم الباطن، ليتطور بعدها أكثر أين مورس بشكل جماعي، أين تربط بينهم علاقات وطيدة، تنظم حياتهم في مختلف الجوانب، واقتصر على تدوين أقوال المشايخ ومناقبتهم وتعداد كراماتهم، لذلك ظهرت الكثير من المصنفات حول مناقب المشايخ، ففي البداية مارسه المثقفون ورجال الدين الرسميون، استناداً للشريعة والسنة، لكن لما تحول إلى تصوف شعبي اعتمد على التعبد الروحي وزيارة الأولياء والمزارات، وعلى وسيط يتجسد في شخص صالح يساعدهم في حل مشاكلهم ونصرتهم. لهذا كثرت القباب والزوايا والمزارات والطرق الصوفية، خاصة في الأرياف أين تغيب السلطة المركزية.

فالتصوف انتقل من الجانب النظري الذي يتطلب معرفة بأحكام الشريعة إلى تصوف عملي يكتفي فيه المرید بممارسة بعض الطقوس الفردية أو الجماعية كالذكر والرقص والإنشاد، وهذا منذ نهاية القرن 3هـ/9م أين بدأ الناس ينتظمون في طوائف وطرق لكل منها نظامها الخاص الذي تلزم أتباعها ومريديها الذين كانوا قوام هذه الطوائف، ملازمين لشيخ يرشدهم ويوجههم، فظهرت على إثرها عدة طرق كالقادرية والأحمدية والرفاعية والشاذلية وغيرها من الطرق، التي وعلى الرغم من اختلافها في الأسباب والمناهج والوسائل إلا أنها تتفق في الهدف من إرشاد الناس وتوجيههم إلى أقوم السبيل.

كان التصوف في البداية الاعتكاف عن العبادة، ولكن مع مرور الزمن تحوّل إلى الدروشة التي تتمثل في التوسلات بالأضرحة والقبور والركون إلى الخرافات الخيالية، ورغم هذه الانحرافات التي عرفها إلا أنّ الأتراك أنفسهم كانوا متأثرين به لذلك نجدهم تقربوا من هؤلاء المتصوفة (خاصة المرابطين) من أجل التبرك بهم واستمالة رجال الدين لمساعدتهم على إخضاع الرعية مقابل منحهم العطايا والهدايا وإعفائهم من الضرائب، ووصل تأثيرهم على الشعب بأن أصبح لهم أتباع كثر من خلال ما يتعلق بالأذكار والتسبيح الخاص بكل طريقة.

## 2- التصوف في الجزائر:

### 2-1- انتقال التصوف إلى الجزائر:

يكاد يجمع المؤرخون كلهم أنه منذ البدايات الأولى للتصوف بالمغرب الإسلامي وحتى القرن 9هـ/15م كان تصوفا فرديا، لم يشهد النظام المؤسساتي الجماعي المنظم المعروف باسم "الطرق الصوفية"، لكن منذ القرن 9هـ/15م ظهر بشكل بناء مؤسساتي ديني محكم التنظيم انصب على الجانب العملي، والممارسات فاننسبت إليه كل الفئات الاجتماعية وهو ما شكل قوته وحضوره الفعلي، خاصة بعد ارتباط المتصوفة، ما بين القرن 7هـ/13م و13هـ/19م بالمرابطين والأولياء الصالحين المحليين وبالسكان خارج نطاق السلطة.

وعند انتقاله للجزائر تبناه الكثير من العلماء مثل أبي الحسن الشاذلي، وأبي مدين شعيب، الذي يعتبر أول من أدخل التصوف إلى الجزائر، حيث أخذ الطريقة القادرية

والتصوف على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني أثناء رحلته إلى الحج، أين قرأ عليه الحديث ولقنه الكثير من الأسرار الصوفية وألبسه الخرقة، لينتشر بعد ذلك التصوف في كامل الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد الزروق وغيرهم، وبهذا تكون أفكار محي الدين بن عربي في التصوف قد انتشرت في الجزائر قبل وصول العثمانيين، إلا أن سياسة هؤلاء ساهمت في انتشاره بصورة أكبر خاصة التصوف الشعبي، وهذا لاعتبارات عقائدية وسياسية.

انتقل التصوف إلى المغرب الإسلامي عموماً والجزائر على وجه خاص عبر أربعة معابر أساسية: التجارة، الكتب، الحج وطلب العلم، أو عن طريق بعض العلماء والمدرسين المشاركة وال دراويش الذين قصدوا الجزائر، وكذلك عن طريق الأندلسيين بعد تهجيرهم من أرضهم منذ أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م، أين هاجر معهم الكثير من العلماء والمتصوفة، نحو بلدان المغرب الإسلامي منها المغرب الأوسط خاصة بجاية وتلمسان.

لقد أصبح التصوف جزءاً من ممارسة العلم، حيث كان علماء الجزائر يأخذون العهد على شيوخ الطرق بالمغرب أو بالمشرق خلال رحلاتهم العلمية أو في الحج، كما كانت زيارة ضريح عبد القادر الجيلاني، وتقديم الهدايا لحراسه تعد تكملة لحجهم، وأصبحوا يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والخرقة والسبحة والأسودين (التمر والماء) والمصافحة (العهد)، إلى درجة لم يعد بالإمكان في ذلك الوقت الفصل بين الفقيه والصوفي، لأن الفقهاء انظموا للطرق ودرسوا التصوف، والصوفي هو الآخر نجده يدرس الفقه. كما نجد أن الكثير من المدرسين المشهورين يدرسون التصوف في حلقات دروسهم ومجالسهم، وخصصوا له مصنفات كالفكون وسعيد قدورة والورتيلاني الذي كان يجتهد في دراسة التصوف.

## 2-2- ظهور التصوف البدعي (الطريقي):

فبعد انتقال التصوف من الخاصة بالمدن إلى العامة بالأرياف على يد تلاميذ كبار الأولياء أدى إلى ظهور حركة صوفية شعبية ابتداء من القرن 15م، وتنظيمات دينية أو الطرق الصوفية غلب عليها البعد الدنيوي على البعد الروحي، وهو ما أدى إلى ظهور نوعين من المتصوفة، متصوفة شعبيون اهتموا بالكرامات والمعجزات ومتصوفة عمليون

منضبطون، تفرغوا للعبادة وهدفهم الخير وخدمة الناس، حتى أن بعضهم لم يتخذ زاوية ولم يدع المشيخة، بل أتباعه من نسبوا إليه ما لم يقل أو يفعل وبنوا قبة على قبره واعتقدوا فيه. ومن أجل جلب الناس حولها أشاعت هذه الطرق الخرافات والبدع، ورفضت الاجتهاد والتفكير حتى جعلت المرید أداة طيعة في يد شيوخه الذين اتخذوا شعاراً "من لا شيخ له فالشيطان شيخه" و"اعتقد ولا تنتقد" وما يجسد خضوع المرید لشيخه قول أحدهم:

إتباع أمره                      القيام بحقه  
وحفظ حرمة                      ميتا كان أو حيا

هذا الأمر أدى إلى الجمود الثقافي ورفض الاجتهاد، وسيطر التصوف والدروشة والشروح على أعمال المتقدمين فابتعد بذلك التصوف عن مفهومه الذي يعني الصلاح والتقشف إلى الدروشة، وشاع حتى بين الفقهاء والولاة أنفسهم فتحوّلت الزوايا من مركزها الثقافي إلى الخرافة والانزواء، حتى كادت الحياة الثقافية تخلو من الإبداع والأصالة وسارت في مجاري التقليد والإتباع، حيث لم يكن يعني العلم عندهم اكتساب معارف جديدة، بقدر ما كان يعني التمكن إلى أقصى حد من اكتساب ما خلفه السلف، فاعتمدوا التقليد والحفظ وعدم تحكيم العقل وسعوا إلى تقليد من سبقهم وقد لخص عبد القادر الراشدي هذا بقوله:

خبرا عني المرید بأني                      كافر بالذي قضته العقول  
ما قضته العقول ليس من                      الدين بل الدين ما حوته النقول

وعلى الرغم من أن مؤسسي الطرق يعلنون إتباعهم لكتاب الله، إلا أنهم لا يتوانون في نشر تعاليم خاصة بهم كثيرا ما انحرفت عن الدين، حتى وصل ببعضهم إلى استغلال العامة واتخاذ التصوف وسيلة للرشوة والفساد، أو وسيلة لإقامة الحضرة ونشر البدعة.

لذلك فقد بالغ الكثير من المتصوفة وأتباعهم في تقديس الشيوخ والسعي لنيل بركاتهم أحياء أو أموات، حتى بلغ بالبعض منهم إلى حد اعتبار الشيخ في مرتبة النبي (ص) أو الاله مثلما فعل أتباع الشيخية، الذين انتقدهم ابي راس الناصري، كما جعل أغلبهم من التصوف (الدجالين) سبيلا للاستزاق وسلب أموال الناس، عن طريق اظهار كراماتهم

وخرافاتهم، وادعائهم معرفة الغيب...، وهو ما صدقه الناس نتيجة لغياب الوعي الديني والثقافي، وسكوت السلطة عن هذه الممارسات.

### 3- الطرق الصوفية بالجزائر:

وحسب سعد الله فإنه وجدت في الجزائر أكثر من 26 طريقة منها أربعة فقط أنشئت في العهد الاستعماري أما البقية فكلها معاصرة للوجود العثماني، ومنها من تأسس بها كالرحمانية والتيجانية أما خارجها فنجد القادرية من المشرق، والطيبية والدرقاوية والعيساوية من المغرب والشابية والشاذلية من تونس رغم أن منشأ هذه الأخيرة المشرق، والمدنية بطرابلس، أكثرها انتشاراً الرحمانية التي تضم 156000 مرید منهم 13 ألف امرأة، لكن أندري قدرها بـ236000 مرید والقادرية لها 87000 مرید أما التيجانية فلها 60000 مرید.

### 3-1- الطريقة القادرية:

تعتبر أول طريقة ظهرت في العالم الإسلامي وأكثرها انتشاراً لذلك يلقب مؤسسها سلطان الأولياء والغوث وقطب الأقطاب، وتنتسب إلى الشيخ الصوفي أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي الجبلي الحنبلي، الذي ولد سنة (471هـ-1078م/561هـ-1166م) بإقليم جيلان ببلاد وراء طبرستان في شمال غرب بلاد الفرس، ارتكزت على الإحسان والرحمة والتساهل والتسامح، وانتقلت الطريقة القادرية إلى بلاد المغرب ومنها إلى بلاد الجزائر على يد الشيخ سيدي أبي مدين شعيب المتوفى في مدينة تلمسان (115هـ-516م)، حيث عند عودته من الحج عرج على الشيخ الجيلاني وأخذ عنه أسرار الطريقة، انتشرت على نطاق، ولها عدة زوايا منها بالجزائر منها؛ زاوية عميش وقمار بالوادي زاوية الرويسات بورقلة التي لها نفوذ على غرداية والأغواط، زاوية منعة بالأوراس وصل عدد أتباعها عدد زواياها بلغ 33 زاوية، و558 مقدم، و24578 مرید، أما "رين" فذكر أن عدد الزوايا القادرية بـ29 زاوية و268 مقدم و14574 مرید، في حين الجنرال "أندري" فقد قدر عدد أتباعها بـ87000 مرید، لكن ورغم كثرة مریدها إلا أن زواياها قليلة إذا ما قورنت بزوايا بعض الطرق الأخرى مثل الرحمانية، وتعد زاوية القيطنة بمعسكر من أشهر زواياها التي أسسها الحاج مصطفى الغريسي جد الأمير عبد القادر (1200هـ/1785م).

من فروعها في الجزائر الطريقة العمارية بقالمة لها 15 زاوية 15 مقدم و1062 مريد، لكن هناك من يذكر أن لها 26 زاوية و46 ومقدم و6435 مريد، أما الطريقة البوعلية ظهرت بنفطة بتونس ثم انتقلت إلى الجزائر 1876م، انتشرت في عنابة، قالمة، خنشلة، في حين أتباع الطريقة البكائية قليلون، انتشرت في الغرب والجنوب خاصة توات وقورارة.

### 3-2- الطريقة الشاذلية:

أقدم الطرق الصوفية في الجزائر أين انتشرت في الكثير من مدن الجزائر، تنسب الطريقة إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، المولود بغمارة قرب سبتة بالمغرب سنة 593هـ/96-1197م، درس العلوم الدينية واللغوية بمسقط رأسه، والتصوف على يد عبد السلام بن مشيش بالمغرب الأقصى ثم انتقل إلى تونس، أين درس على يد كبار علمائها، لينتقل بعدها إلى بلدة الشاذلة بتونس، وبعد عدة مضايقات له من طرف منافسيه ارتحل إلى الإسكندرية أين توفي هناك سنة 656هـ/1258م، أتباعها السياحة، عملا بالحديث "سيحوا تصحوا" لذلك نجد أحمد بن يوسف الملياني قد ساح 15 سنة بالمغرب الأقصى بفاس وتازة وسوس ووجدة وتلمسان وتاهرت ووهران وجرجرة وطرابلس والقيروان والإسكندرية والقاهرة وجدة... تفرعت عن الشاذلية عدة طرق منها: الدرقاوية، والمدنية واليوسفية والزروقية والزيرية، الشيخية والطيبية، والحنصالية والجازولية والكرزانية والرازية، بلغ عدد أتباعها حسب "رين" 14574 إخواني و268 مقدم و32 زاوية، أما "كوبولاني ودوبون" فقد ذكرا أن عدد أتباعها بلغ 14206 و99 مقدم و11 زاوية. ومن أشهر أتباعها إبراهيم التازي وعبد الرحمن الثعالبي، وأحمد بن يوسف الملياني.

### 3-3- الطريقة الرحمانية:

هي طريقة منحدره من الطريقة الخلواتية، تنسب للشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري القشتولي، يعرف بالزواوي، وبالجرجري، ولد سنة 1130هـ/1720م، ينحدر من جرجرة ببلاد زواوة، تلقى تعليمه في مسقط رأسه بزواوية الشيخ الصديق بن أعراب بالأربعاء ناثي إيراثن يعرف ببوقبرين وتشير الروايات أن سبب هذه التسمية هو ازدواجية جسده له ضريح بالحامة وآخر بمسقط رأسه، ارتحل إلى بلاد المشرق، وبقي حوالي 15 سنة في تنقله

ما بين مناطق ومدن المشرق لتلقي العلوم وأخذ الطريقة الخلواتية التي كلفه شيخها ينشرها في الهند والسودان، عاد بعدها إلى قريته ليؤسس بها زاويته سنة 1183هـ-1770م، وبعدها بوقت قصير انتشرت الطريقة الرحمانية في الجزائر. وتفرغ لنشر العلم وتلقين مبادئ التصوف على نهج الخلوتية، فالتف حوله الناس من شتى الجهات، من بينهم أحمد التيجاني الذي أخذ عنه ورد الطريقة، لما توقف بآيت اسماعيل في طريق عودته من الحج.

كان من تعاليم الطريقة التسامح والتقارب بينها وبين غيرها من الطرق، وتلتقي مع الشاذلية والسنوسية في الكثير من المفاهيم الفقهية، كما أنها لا تورث المشيخة، مثل الطرق الصوفية الأخرى، بل تستند في المشيخة على الكفاءة العلمية والدينية، وليس على النسب، لذلك نجد شيخها قبل وفاته منح المشيخة، للشيخ سيدي علي بن عيسى المغربي خلفا له، كما نجده منح الشيخ أول إجازة "مقدم"، بخط يده وإمضائه لسيدي بلقاسم بن محمد من معاتقة عام 1777م، أصبحت أول طريقة بالجزائر من حيث عدد الأتباع، حيث بلغ عددهم حسب إحصاء "كبولاني" و"دوبون" 156214 منخرط (إخواني) و 873 مقدم و 177 زاوية، أما "رين" فقد أحصى 96161 إخواني و 754 مقدم و 220 زاوية.

ولقد امتد نفوذها حتى الشرق الجزائري، حيث عين سيدي محمد بوقيرين خليفة له بقسنطينة هو الشيخ مصطفى باشتارزي الكرغلي، ووصلت حتى بسكرة وطولقة، ومن أشهر زواياها نجد زاوية الزاوية الأم، الحامة، زاوية صدوق، زاوية العثمانية بطولقة وزاوية عبد الحفيظ الخنقي بسكرة، أما خارج الجزائر فقد انتشرت في نفطة بتونس وبلاد الشام، بعد هجرة سكان زاوية هروبا من الاستعمار الفرنسي. وحتى في السودان، وهذا لتعميقها لعلاقتها مع الطبقات الاجتماعية.

### 3-4- الطريقة الدرقاوية:

تنسب للشيخ محمد العربي الدرقاوي، من بني زروال شمال فاس، هي فرع من الشاذلية، لكنها خالفتها في التسامح والحياد ازاء السلطة والمهادنة، بلغ عدد أتباعها حسب كبولاني 9567 مريد موزعين على 10 زوايا ويؤطرهم 72مقدم، رين يذكر أن لها 32 زاوية، 268 مقدم، و 14574 مريد، من فروعها الطريقة المدنية، الطريقة المكاحلية، الطريقة العيساوية،

الطريقة الهبرية، الطريقة العليوية. قادت تمرد ضد العثمانيين بداية القرن 19م ببايالك الشرق بقيادة ابن الأحرش وبيايالك الغرب بقيادة عبد القادر الدرقاوي.

### 3-5- الطريقة التيجانية:

تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني المولود بعين ماضي سنة 1150هـ/1737م، وهو من الأشراف يعود نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)، لقب بالتيجاني نسبة إلى قبيلة بني توجين التي استقرت قديما بعين ماضي، أخذ الشيخ عدة طرق منها؛ القادرية، الطيبية، الرحمانية، الناصرية، الحبيبية، بعدها ترك كل هذا وأسس طريقته بعد رأيته الرسول (ص) يقظة، وأخذ عنه الورد، دخلت في صراع مع السلطة العثمانية انتهت بتمردها، وصل عدد زواياها 32 زاوية و165 مقدم و25323 إخواني، رين يذكر أن لها 17 زاوية و100 مقدم و11082 مرید.

## المصادر والمراجع:

- بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م، ج1.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2.
- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ط1، دار البلخي، دمشق، 2006م، ج2.
- شجري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة الجزائر 02، 2018م.
- شجري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، رسالة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2006م.
- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م، سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1، ج4.
- الفيلاي مختار الطاهر، نشأة المرابطون والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الجغرافيكس، الجزائر، 1976م.
- القاسمي عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007م.
- ابن مريم التلمساني عبد الله محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.

- Depont (O), Coppolani (X), Les confréries religieuses musulmanes, A.Jourdan, Alger, 1897.

- Rinn Louis, Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1884

## التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها العربي الإسلامي

### مقدمة:

عند دراستنا للحركة الفكرية والثقافية للجزائر خاصة والبلاد المغاربية عامة، ذلك التفاعل والتواصل الفكري بين علماء المنطقة، عن طريق هجرة العلماء بين الأقطار المغاربية خاصة والعربية عامة، حيث نجد في الجزائر خلال العهد العثماني ذكرا لعلماء أجلاء قدموا إليها من مختلف البلاد العربية خاصة من تونس والمغرب، واستقروا بها، ولعبوا أدوارا هامة في رسم الصورة الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية للجزائر، والعكس بالنسبة لهجرة العلماء الجزائريين لبلدان المشرق والمغرب. لذلك فالتساؤل المطروح هنا، هل كان هذا التواصل الثقافي بفعل التقارب السياسي والثقافي بين دول المغرب العربي؟ أم يعود لتطلعات العلماء لما هو أفضل لهم في حياتهم العلمية؟

ومهما يكن من أمر فإن هجرة العلماء -بغض النظر عن ظروفها وأسبابها- كانت لها انعكاسات ايجابية وعلى الجانب الثقافي، وعلى غيره من النواحي عموا في هذه الدول.

### 1- تعريف التواصل:

1-1- لغة: كلمة مشتقة من الفعل وصل، يقال وصلت الشيء وصلا وصلته، والوصل عكس الفصل، واتصال الشيء بالشيء أي لم ينقطع، والوصل ضد الهجران.

### 1-2- الفرق بين التواصل والاتصال:

الاتصال غايته ومرماه ومقاصده هي التواصل والاستمرار بين المجتمعات وتبادل المنافع والمصالح والفوائد كيفما كانت مادية اقتصادية أو معنوية، مثل: القيم الثقافية والأخلاقية والسلوكية: فبالتواصل يمكنها أن تتعارف، وتكشف أن لدينا عوامل التفاهم والاتفاق والتكامل والاتحاد أكثر مما يفرق بينها، وبالاتصال يمكن حدوث عملية التواصل والتفاعل التي تفضي بدورها إلى تبادل المعارف والخبرات وتنسيق الجهود، مما يجعل هذا الديانات تتفق على توحيد مواقفها تجاه القضايا الحساسة في الحياة الإنسانية وتمارس ضغطها على النظم السياسية، وتحملها على احترام الوجود الإنساني وضمان الحقوق الأساسية للإنسان.

**1-3- اصطلاحاً:** لا يمكن فهم التواصل الحضاري إلا بعد شرح معنى الحضارة، والتي تعني جهود الإنسان في مكان وزمان ما لتحسين طرق ووسائل التفاعل مع البيئة، لغرض تحقيق حياة أفضل في جميع الميادين، وفي العالم الإسلامي أضاف الدين للإنسانية قيم ومبادئ كانت كفيلة بتحقيق التقارب والتعاون بين الشعوب والأمم، وتكفل لها شروط روحية ومادية لتعمير الأرض وتحقيق السعادة والاستقرار لأفراد المجتمع، وقد عرفها ابن خلدون على أنها: «التفنن في الترف وإستجادة أحواله، والكلف بالصنائع، وسائر الفنون وأحكام الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله، والحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ الحياة».

فالتواصل الحضاري من منظور فكري هو إقامة الجسور بين الثقافات والحضارات وتقوية الروابط التي تجمع بين الأفراد والجماعات البشرية، وما يتخللها من نقاشات وتبادل وتلاقح للأفكار، وقد يأخذ هذا التفاعل منحة أفقي أي تفاعل بين ثقافات متزامنة أو أقاليم ثقافية، وقد يكون تفاعل رأسي أي بين أجيال متعاقبة لثقافة ما أو لفئاتها أو طبقاتها الاجتماعية، وبهذا فالتواصل الحضاري هو تبادل الثقافات من خلال الاتصال ما بين نطاقات جغرافية مختلفة فيما بينها عن طريق الحوار والتعارف وتلاقح الأفكار والأخذ والرد بين الأشخاص فيما بينهم، وهو يعتبر من الظواهر الايجابية التي لعبت دوراً هاماً في تطور الفكر الإنساني خلال العهد العثماني بين الجزائر ومختلف بقاع العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً.

وخلال الفترة العثمانية شهدت الجزائر تفاعل وتواصل حضاري بينها وبين أقطار العالم العربي الإسلامي مشرقاً ومغرباً، والذي غلب عليه البعد الروحي والديني، لكن ورغم هذا فقد ظهرت أفكار داعية للتجديد والانفتاح والتفاعل مع الثقافات الأخرى، منها دعوة حمدان بن عثمان خوجة إلى عدم الاكتفاء بالتراث الإسلامي وضرورة التوفيق بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، لاعتقاده بوجود تقارب بين مبادئ الشريعة الإسلامية ومبادئ الحرية الأوروبية، كما دعا إلى الثورة على من أغلق باب الاجتهاد واتهمهم بالتقليد وعدم سعيهم للابتكار وتمسكوا بالقشور، وهو ما دأب عليه المتصوفة المزيفون.

## 2- دوافع (خلفيات) التواصل الحضاري بين الجزائر والبلاد العربية:

### 2-1- العامل الديني:

يعد هذا العامل من الأسباب التي دفعت الجزائريين إلى التوجه نحو المشرق من أجل زيارة بيت الله الحرام والمسجد الأقصى ومزارات الأولياء مثل قبر عبد القادر الجيلاني الذي اعتبر البعض زيارة ضريح ركنا مكملًا لحجهم.

فقد كان الحج يعتبر إحدى مظاهر التواصل بين الجزائر وبلدان المشرق الإسلامي، وأهم الدوافع لسفر الكثير من الجزائريين والمغاربة كل عام نحو الحجاز للقيام بهذه الفريضة، بحيث كانت قوافل الحج الجزائرية المتجهة إلى بلاد الحجاز تمر بالأراضي التونسية وطرابلس الغرب (ليبيا) ومصر، فبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الأقصى بالقدس، وقبر إبراهيم الخليل في مدينة الخليل، فقد كان الحجاج يعرجون في طريقهم على مدن الشام ودمشق وبغداد ومصر، أين يتنقلون بين حلق العلم في الأزهر وجامع الأمويين والزيتونة.

### 2-2- العامل العلمي:

كان التنقل من أجل طلب العلم دور كبير في تواجد الجزائريين في البلاد العربية والعكس صحيح، فقد كانت الرحلة من أجل تحصيل العلم من الأمور المحمودة والمنتشرة في ذلك الوقت، حيث شكل مع العامل الديني تفاعل كبير بين الأقطار العربية، الأمر الذي جعل من الصعب الفصل بينهما، خاصة بعد ازدهار العلوم بالشام ومصر منذ القرن 6هـ/12م، وانتشار المدارس وحلقات الدروس في المساجد، خاصة بجامع الأزهر بمصر وجامع الأمويين بدمشق، ومن الطبيعي أن تصل تلك النهضة للمغاربة بصفة عامة، مما جعلهم يشدون الرحال للاستزادة منها، عملاً بحديث الرسول (ص) أن طلب العلم فريضة، لذلك كانت الدراسة والتدريس برواق المغاربة بالجامع الأزهر وبالجامع الأموي حلم كل مغربي مثلهف للعلم.

### 2-3- العامل الجغرافي:

إن تشابه الطبيعة والمناخ غالبا جعل الجزائريين لا يشعرون بالغربة وهو ما ذكره العديد من الرحالة المغاربة منهم المقري الذي قال إنه تذكر بلاده بذلك المأوى الشامي...وعند رؤيتي لتلك الأقطار... تفاعلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار، إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والازدهار. ويدخل في هذا وحدة اللغة والعقيدة والتقارب في العادات والتقاليد.

### 2-4- العامل السياسي:

لا تقل أهمية هذا العامل في الدفع بالجزائريين خلال الفترة العثمانية وحتى قبلها إلى الهجرة للمشرق أو المغرب، حيث كان للظروف السياسية دور في هجرة العديد من العلماء الجزائريين إلى الأقطار العربية مثل سعيد المنداسي والتيجاني اللذان هاجرا نحو المغرب وعيسى الثعالبي المقرب من يوسف باشا وبجي الشاوي أو حتى هناك من علماء تونس والمغرب من هاجر نحو الجزائر هروبا من بطش السلطة مثل أبي محلي السجلماسي، الذي تمرد على مولى زيدان ودخل مراكش.

### 2-5- العامل التجاري:

يعد هذا العامل من العوامل التي كانت منذ العصر الوسيط، فالبحت عن مصدر الرزق أدى بالجزائريين للخروج نحو البلاد العربية للممارسة التجارة مع مصر والشام وتونس والمغرب والحجاز، والملاحظ أن هناك من ضمن هذه القوافل التجارية كان العلماء ممن يملك تجارة مثل عبد الرزاق بن حمادوش، كما أنّ بعض الجزائريين والمغاربة عامة كانوا يعملون بالتجارة مع حلب ودمشق وطرابلس والقدس، كما أن ركب الحج إضافة لكونه سفيرة دينية فهو قافلة تجارية، فهو عامل منشط للحياة الاقتصادية لسائر الأقطار الإسلامية، لما يتم تبادله من السلع المختلفة والعملات، فقافلة الحج تحمل سلع لتزويد القافلة أو لبيعها في الطريق، وعن طريق عائداتها يشتري ما يحتاجه الركب.

### 3- آليات وقنوات التواصل الحضاري:

#### 3-1- الرحلات العلمية:

##### أ- تعريف الرحلة:

لغة تعني المضي على السفر، الترحل والارتحال لتعني الانتقال وهو الرحلة والرحلة. والرحلة: اسم للارتحال للمسير. يقال: دنت رحلتنا. ورحل فلان وارتحل وترحل، يقال رجل رحول أو قوم رحل أي يرتحلون كثيرا، أما اصطلاحا فهي التنقل والحركة يقوم بها فرد أو جماعة لعدة مقاصد علمية، دينية، اقتصادية، سياسية.

وقد ذكر ابن خلدون أن الرحلة تعني طلب العلم والدراسة، "أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد من كمال في التعليم.... فالرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ"<sup>5</sup>، ومن المؤلف أن الرحلة تتجه في أغلب الأحيان إلى الشرق للتلمذة والأخذ عن علمائه، خاصة وأنه مع الوقت بدأ يتقلص الحجم المغربي أمام التضخم الشرقي، الذي اقتنع به حتى أهل المغرب أنفسهم، وقد سجل ابن خلدون هذه الظاهرة قائلا: "فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، بل وفي سائر الصنائع، حتى إنه لَيُظَنُّ كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيسا بفطرتهم الأولى، وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس أهل المغرب، ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية، ويتشيعون لذلك، ويولعون به، لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع، وليس كذلك".

وهذا هو سرُّ كثرة الرحلات المغاربية نحو المشرق، وقلة الرحلات الشرقية نح وبلاد المغرب، فالمقري ذكر 307 راحل أندلسي إلى المشرق، بينما لم يذكر من الرحالة المشاركة إلى حوالي 86 راحلا فقط<sup>6</sup>.

##### ب- الرحلة وأغراضها: لقد تنوعت الرحلة حسب غرض صاحبها فنجد:

6- **رحلة لطب العلم:** يغترب الرحالة ويقصد حواضر العالم الإسلامي، أين يجالس أشهر العلماء ويحضر دروسهم ويسعى للحصول على إجازاتهم، ويقيد على كل ما صادفه، مثل الرحلة ابن زكور الفاسي "نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان".

7- **رحلة لطلب الدين أو للحج وأحيانا للرباط في سبيل الله:** ينسي للرسول (ص) "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى" وعملا بهذا قصد العلماء المغاربة البقاع المقدسة وبرعوا في وصف ترحالهم وإقامتهم حتى أصبحوا دليلا ومرشدا لمن يريد السفر، فنتيجة توفيق روي نحو البقاع المقدسة التي وطئتها أقدام الرسول (ص)، وأحيانا كانت القوائد والموشحات تسبق الزيارة الواقعية بنظم شعرية ونثرية مثل ما نجده عند ابن عمار والمانجلاتي والورثيلاني، أما الرحلة العلمية، فكانت لطلب العلم وزيارة البلدان والأخذ من علمائها وأقدم رحلة جزائرية قام بها عاشور بن موسى القسنطيني (الفكيرين) دامت 20 سنة اطلع فيها على عدة بلدان وقبائل وتعلم عدة لهجات وتعرف، وهي رحلة مسموعة وليست مكتوبة، ما وصل عنها ما رواه تلاميذه عندما يقص عليهم مغامراته.

8- **رحلة للسفارة:** تخص العلاقات بين الدول، وقد ظهر هذا النوع في القرن 16م، فنجد سلاطين المغرب كانوا يرسلون علماء في مهمات في البلدان الإسلامية والأجنبية، مثل رحلة التمرغوطي سنة 1580م إلى اسطنبول ورحلة الوزير الزياني سنة 1786م.

9- **رحلة للسياحة وحب الاستكشاف والمغامرة والاستطلاع المجهول،** قد تستغرق شهورا أو سنوات يدون خلالها ما لاحظته وشاهده الرحالة مثال رحلة الحسن الوزان سنة 1515-1516م في رحلته "وصف إفريقيا".

10- **رحلة لطلب الدنيا:** غرضها التجارة والكسب، فقد كان بعض العلماء يمارسون التجارة إضافة إلى انشغالهم بالعلم، منها ما قام به ابن حمادوش في رحلته للمغرب الأقصى.

11- **رحلة قصرية** تكون نتيجة ظروف سياسية.

أما من حيث المنهج والأسلوب فنجد رحلة أدبية (شعرية أو نثرية)، رحلة علمية، رحلة روحية (دينية).

### 3-2- أهم الرحلات الجزائرية المشرقية المغربية:

لقد تعددت الرحلات الجزائرية نحو البلاد العربية منها:

أ- الرحلات الجزائرية المشرقية الحجازية / المغربية: نجد عدة رحلات منها:

12- رحلة المجاجي: "رحلة إلى مكة" لبعث الرحمن المجاجي، رحلة حجازية سنة 1653م، ذكر فيها مسار لحته من الجزائر إلى مكة شعرا، حيث دون مشاق رحلته ولقائه بالعلماء وحضور مجالسهم.

13- الرحلة الورثيلانية: أو نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاعخبار "رحلة حجازية كانت عام 1766م تضمنت العديد من الاعخبار في مختلف المجالات، خاصة الثقافية، حيث ذكر اجتماعه بالعديد من العلماء في الجزائر والمشرق والحجاز، وزار العديد من الاولياء الصالحين، كما سجل الأوضاع الثقافية في المناطق التي حل بها، حيث عاتب حاكم طرابلس علي باشا على انعدام التدريس بها وقدم له عدة نصائح.

14- رحلة ابن حمادوش "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، في القرن 18م، كان الغرض منها علمي تجاري، نحو المغرب الأقصى، حيث دون لقاءها مع بعض العلماء بتطوان وأخذ العلم والاجازة عنهم، كما انه نسخ العديد من الكتب واشترى بعضها.

15- رحلة أبي راس الناصري: في القرن 18م، هي رحلة مغربية مشرقية، تناول فيها شيوخه ومن لقيهم من علماء بالمغرب: تونس، مصر، الحجاز، وفيها نسخ واستعار واشترى عدة كتب، وتناظر مع علماء الوهابية وغيرهم.

16- رحلة المقري: أو "رحلة إلى المشرق والمغرب"، وصف فيها الأماكن التي حل بها، كما ذكر فيها جوانب من الحياة العلمية والاجتماعية، وقد ورد فيها اجازاته لبعضا لعلماء وخطباته للعلماء وبعض الحكام، كما ورد فيها مساجلاته وردة على أسئلة وردت إليه.

17- رحلة ابن عمار، "تحلة البيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، رحلة حجازية كانت سنة 1753م، ذات طابع أدبي، ترجم لمعاصريه من العلماء مثل المانجلاتي، وقد جاء فيها ما يعرف بفن الموشحات التي ذكر فيها شوقه لزيارة مدينة الرسول (ص) ومدحه.

ب- الرحلات المشرقية المغاربية للجزائر: منها

18- رحلة التمغروطي: أو النفحة المسكية في السفارة التركية، في 1589م هي رحلة سفارية من المغرب إلى إسطنبول، ذكر فيها ما لاحظته في طريقه من هنين إلى بونة، وذكر فيها أخبار العلماء الأحياء والاموات منهم، وكانت لمدينة الجزائر وصف خاص كونه أقام بها مدة سماها "إسطنبول الصغرى".

19- الرحلة العياشية: "ماء الموائد" لأبي سالم العياشي، ما بين 1661-1663م، وهي رحلة حجازية جاءت في جزأين، انطلقت من سجلماسة المغرب نحو الحجاز، حيث سلك الطريق الصحراوي والتقى بشيوخ وعلماء الجنوب الجزائري الذي وصفه أوضاعه سياسيا اقتصاديا وثقافيا.

20- رحلة ابن زاكور الفاسي: "نشر أزهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان" أعطت لنا نظرة عن الحياة العلمية بالجزائر، وفي طريق عودته من الحج حل بها سنة 1683م، التقى بجملة من علمائها، وأخذ عنهم العلم والإجازات منهم، كما ذكر فيها قائمة الكتب التي كانت تدرس وطريقة التدريس.

21- الرحلة الناصرية: لأبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي، كانت سنة 1709/1710م نحو الحجاز للحج، وقد احتوت على معلومات جغرافية وعمرانيو واجتماعية وثقافية، وقد حل بعين ماضي وتاجمونت ومنطقة الزاب، وأعطر وصفا للأحوال العلمية بها وما لقيهم من العلماء.

22- رحلة الزياني: أو "الترجمانة الكبرى" للأديب والوزير أبي القاسم بن احمد بن علي الزياني، التي جمعت اخبار العالم برا وبحرا، زار وهران وتلمسان ومكث فيها مدة ثم انتقل إلى مدينة الجزائر بها ضد الاتراك وقسنطينة، تكلم على تلمسان وقيام تمردات، كما ذكر أحوال الجزائر من وباء وما خلفه.

23- الرحلة الناصرية الكبرى: لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، وهي رحلة حجازية، هو الآخر حل بعدة مناطق بالجزائر منها بسكرة، م، تلمسان، الجزائر، الزاب... ودون كل ما لاحظها من احوال في جميع المجالات، كما ذكر من التقى بهم من العلماء.

### 3-3- حركة العلماء بين الجزائر وبلاد المشرق والمغرب:

#### أ- أشهر العلماء الوافدون على الجزائر:

24- الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت 1556م): نُسب إلى صفاقس وطرابلس والجزائر، يبدو انه تربي أو زار طرابلس قبل القدوم إلى الجزائر، أين تشبع بروح عدة طرق صوفية مثل القادرية والبكداشية، كان يدعى نزيل الجزائر، لأنه سكن بها وطالت إقامته فيها، كان خطيبا فصيحاً، له عدة مؤلفات اهتم بالتفسير القرآن الكريم... والتصوف خاصة، تولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، ودرس على يد محمد بن مزروق وتلاميذ عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي، اجتهد في التأليف والدعاية لصالح الطريقة الشاذلية والدفاع عنها، له شرح على حكم ابن عطاء الله في التصوف وأصول الطريقة لأحمد زروق، كفاية المرید وشرح الصلاة المشيشية (نسبة إلى عبد السلام بن مشيش ناشر الطريقة الشاذلية)، قدم الخروبي خدمات جليلة للوجود العثماني خاصة في الجزائر، بقلمه ودرسه وطريقته الصوفية، لذلك عاش في حماية الدولة له في الجزائر، وقد قام الخروبي بعدة أسفار إلى المغرب، حيث زار فاس ومراكش، وأخذ عنه علماء المغرب، كان ذهابه إلى المغرب في شأن الحدود بين البلدين بعد أن هاجم السلطان محمد الشيخ تلمسان، حيث أرسل سنة 1552م وسنة 1553م على رأس سفارة إلى المغرب، لعقد الصلح بين الجزائر ومحمد الشيخ السعدي (سلطان المغرب) بعد غزوه لتلمسان، لكنه فشل في مسعاه.

25- الشيخ علي الأنصاري: هو الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري السجلماسي، نشأ بسجلماسة ثم ارتحل إلى فاس، وأخذ عن بعض مشايخها، ثم سافر إلى الحجاز بعد الأربعين من العمر فأخذ عن الغنيمي والأجهوري، دخل مصر سنة 1043هـ/ 1633م وقرأ بها ثم عاد إلى المغرب، واستقر بمدينة الجزائر في القرن 17م، أين تصدى لتدريس أصول الدين والبيان والمنطق والنحو ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف... وكان على صلة وثيقة بيوسف باشا، وهي صلة مصالح ومنافع متبادلة، لأن الباشا كان بحاجة لتأييد العلماء، والأنصاري كان بحاجة لقوة تحميه لأنه كان غريبا عن البلد، له مؤلفات كثيرة غالبها نظم في فنون مختلفة وله شرح على الأجرومية وتحفة بن عاصم وشرح الدرر اللوامع لابن بري وكتاب اليواقيت الثمينة في الفقه، وله مؤلف في تفسير القرآن، وتأليف في رجال البخاري، منظومة الدرّة المنيفة في السيرة الشريفة... وغيرها، كانت وفاته سنة 1057هـ - 1648م بالجزائر، ويقال أنه توفي شهيدا بالطاعون.

26- أحمد بن مصطفى برناز التونسي (ت 1726م): فقيه حنفي تونسي أصله تركي، درس بجامع الزيتونة، كما تولى إمامة بمساجد تونس والقضاء بها، ارتحل إلى مصر واخذ على عدة مشايخ منهم يحي الشاوي الجزائري، كما ارتحل للجزائر أين اخذ العلم على يد الشيخ أحمد ساسي البوني، كما تواصل مع علماء قسنطينة التي زارها مثل بركات بن باديس، أما بمدينة الجزائر فقد أخذ عن محمد بن سعيد قدورة ورمضان بن مصطفى العنابي، وبزواوة قرأ على يد محمد الفاسي وغيرهم، له عدة مؤلفات.

27- إبراهيم الفلاري التونسي (ت 1629م): فقيه مالكي تونسي، درس بجامع الزيتونة، اهتم بالنحو، له جانبان الأول للهو والطرب والثاني مخالطة ومجالسة الفقهاء، من بينهم أبو زكريا يحي المحجوب عندما قدم قسنطينة، التي كان علمائها يجلسونه ويستقبلونه في المجالس العلمية على أنه من كبار النحاة.

28- الشيخ أبو القاسم الزياني: هو أبو القاسم بن احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الزياني، رحالة وأديب ووزير مغربي من قبيلة زيان الصنهاجية نواحي فاس، ولد سنة 1147هـ،

درس في القرويين، اتصل بالبلاط الملكي سنة 1169هـ، تقلد الولاية على وجدة وتازة ومكناس وطنجة وغيرها، في طريق سفارته إلى اسطنبول عام 1794م نزل بوهران ضيفا على الباي محمد الكبير ثم التحق بتلمسان وقضى مدة طويلة بين علمائها، ثم قصد الجزائر فأكرمه أهلها وحكامها. كان يفكر وهو في الجزائر أن يستقر بتلمسان غير أن ضغوطا عديدة من المغرب جعلته يغادر، ويرجع في النهاية إلى بلده، توفي في رجب 1249/ نوفمبر 1833م بعد حياة طويلة ونكبات لم تمنعه من التأليف والمطالعة.  
من أشهر كتبه:

- الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب (في التاريخ العام).
- البستان الظريف في دولة اولاد مولاي علي الشريف (تاريخ الدولة العلوية).
- رسالة السلوك فيما يجب على الملوك (في السياسة).
- الترجمانة الكبرى (في رحلاته خارج المغرب الأقصى).

#### ب- أشهر العلماء الجزائريون في المشرق والبلاد المغاربية

29- قاسم بن يحيى بن محمد الفكون (1558م): قاسم بن الفكون يعتبر أحد علماء قسنطينة، هو مفسر تولى القضاء في زمن الشيخ الوزان، زار تونس وتولى إمامة جامع البلاط واحتك بعلمائها، الذين أخذ عنهم من أمثال الشيخ مغوش، وأيضا الشيخ العارف الوزان، رحل الفكون إلى الأستانة ونال شهرة كبيرة هناك وقام بعدة تأليف في النحو، حيث جاء في قول الفكون "دل على معرفته معتمدا فيه على الرضى والركن وشارح اللقب محشوا بالتعليق الرائعة جمعها على عدة علوم وتصانيف".

30- عاشور بن عيسى القسنطيني المعروف بالفكيرين (ت1664م): ولد بقسنطينة عام 1586م، أخذ العلم عن والده، الذي وبعد وفاته سنة 1054، شد الرحال لطلب العلم في الكثير من البلدان من بينها تلمسان والمغرب، ثم جال حتى بلغ أرض السودان، دامت رحلته 20 سنة، وعند رجوعه إلى بلاده أخبر بغرائب ما شاهد وما رأى في تلك البلاد، لما نزل إلى تونس، وأخذ عن المشيخة من بينهم الشيخ التواتي وأخذ أيضا عن صاحب الترجمة الشيخ

عثمان النعاوشي، وعن الشيخ سالم السهوري، وأسانيد السوسي، والمنجور إضافة إلى محمد قويسم ومحمد حجيج، وعبد العزيز الفراتي، توفي وعمره 90 سنة.

31- **أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد الساسي البوني (1653-1726م):** فقيه مالكي

ولد ببونة في أسرة علمية صوفية، رحل إلى مصر؛ أين درس على عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ويحي الشاوي الجزائري، كما تصدر هو للإقراء في الأزهر، كما طلب العلم في تونس، كانت له مراسلات مع الحكام مثل الداوي محمد بكداش وحسن خوجة، له عدة مؤلفات.

32- **يحي الشاوي (1621-1685م):** هو أبو زكريا يحي بن محمد بن عيسى الشاوي

الناثلي، فقيه مالكي، مفسر أصولي منطقي ولد بمدينة الجزائر عام (1030هـ-1621م)، نشأ بها وأخذ العلم عن والده وعن أبو عثمان سعيد قدورة وعيسى الثعالبي وعبد الواحد الأنصاري وغيرهم، وأجازه العديد من العلماء مثل الشيخ عبد الكريم الفكون، كان عالم نحو ومفسر وفقه مالكي، زار مصر قاصدا مكة واتصل بعلمائها وأعيانها، تولى التدريس بالأزهر، ثم ارتحل إلى تركيا، ثم عاد إلى القاهرة، التي أقام بها على الأقل ثلاث مرات أين احتك بجملة من علمائها الذين اجازوه واجاز العديد من العلماء بها، كما أقام بدمشق أين كان له مجلس مهيب بالجامع الاموي، وبإسطنبول شارك في المحاضرات والمناظرات، وحضر مجلس السلطان احمد باشا كما قربه أهل السلطة، فلما رحل إلى أنحاء الشرق الإسلامي ذاع صيته وامتدحه الشعراء والأدباء بقصائد كثيرة، ومن مؤلفاته "أصول اسم الجلالة"، شرح التسهيل، رسالة في أصول الفقه، وغيرها، توفي عام (1096هـ/1685م) عند عودته من الحج ودفن بالقرافة الكبرى بالقاهرة.

33- **محمد الحفصي القسنطيني (ت 1811م):** فقيه مالكي وحافظ للحديث، شارك في علم

المنقول والمعقول، تولى قضاء قسنطينة، درس بتونس على صالح الكواشي، له حاشية "على السلم المرونق" للأحزري في المنطق و"تقايد" في مختلف الفنون.

34- **محمد بن شقرون المغراوي (ت 1532م):** أبو عبد الله محمد شقرون بن أبي العباس

أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني الفاسي، ولد 1474م بوهران، انتقل لفاس للدراسة

فكان من العلماء الظاهرين بفاس. كان عالما بالفقه وبرع في القراءات وعلم الكلام، له عدة مؤلفات:

- الجيش الكمين لقتال من يكفر عامة المسلمين.
- تقريب النافع في الطرق العشر لنافع.
- تقييد على مورد الظمان.
- فهرست لشيوخه
- المنظومة الشقرونية.

35- **خليفة بن حسن القماري (ت1792م):** فقيه مالكي من واد سوف، عاش متنقلا بين مسقط رأسه وبسكرة وسيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي، نهل من مصادر تونس وقسنطينة. إضافة إلى هذا نجد العديد من العلماء الجزائريون في المشرق والمغرب أمثال سعيد قدور، عيسى الثعالبي، أحمد التيجاني، سعيد المنداسي وغيرهم ممن تركوا بصماتهم في البلدان التي حلوا بها.

### 3-4- ركب الحج:

لقد كان ركب الحج يجمع بين الحج والنشاط العلمي، فلا يكاد يخلو من حجاج علماء اشتهروا بنبوغهم في الجزائر وفرضوا مكانتهم في المشرق الإسلامي منهم أحمد المقرئ، عيسى الثعالبي، يحيى الشاوي، عبد العزيز تواتي، محمد المنور التلمساني، عبد الرحمن التتالالي، الحسن الوثيلاني، أحمد بن عمار، أبو راس الناصري...، حيث كان الجزائريون يقصدون مواطن العلم والتدريس ويزاحمون الطلبة عليها، فركب الحج أصبح يشبه مكتبة متنقلة سواء بسبب كثرة الكتب التي يحملها الركب أو بسبب العلماء الذين كانوا صمن القافلة، فالكتب والمدونات طانت موجهة للبيع في المناطق التي يمر بها الركب أو في حواضر الحجاز، كما أن العلماء كانوا يشتررون منها الكتب والمصنفات في مختلف العلوم، والملاحظ كذلك أن رئاسة ركب الحج كانت تسند لعائلات علمية وللعلماء المشهورين بعلمهم وورعهم أمثال عائلة عبد المؤمن وعائلة الفكون والشيخ الموهوب والورثيلاني وغيرهم.

4- مظاهر التواصل الحضاري:

4-1- الإجازات العلمية:

يقابلها في يومنا هذا الشهادات الجامعية وشهادة الكفاءة، وهي شهادة تؤهل حاملها وهي ما يقابل الشهادات الجامعية وشهادة الكفاءة في يومنا الحالي، وهي تؤهل صاحبها في التدريس علم معين أو عدة علوم حسب ما جاء فيها، ويحق له الرواية وتلقين الدروس حسب ما تلقاها هو، ومن خلالها يحظى المدرس بعد عودته إلى أهله بثقة الناس، وكانت آنذاك انفع ذخيرة وانفع سلاح يعود بها الطالب لبلاده، فهي تعد بيان يثبت دراسته على يد علماء أجلاء، وأنه أتقن مختلف العلوم من خلال اطلاعه واغترافه من أمهات الكتب، والجدير بالذكر أن هذه الإجازة كانت تمنح في البداية إلا لدارس علم الحديث، ثم تم تعميم منحها لمختلف العلوم، كما أنها كانت تمنح شفوية قبل أن تصبح كتابية.

وتعتبر الإجازة أحد مظاهر التواصل العلمي بين الجزائر والمشرق والمغرب، والجدير بالذكر أن نصوص الإجازات لا تخلو من فوائد إخبارية، فيها عرض للعلوم التي تلقاها وللكتب التي اطلع عليها، إضافة إلى قائمة أسماء الشيوخ والمدرسون الذين تلقى منهم العلم، حيث يكون نصها كالتالي: يبدأها الشيخ أو الأستاذ المجيز بالديباجة التي قد تطول أو تقصر، وتستهل بالحمد والصلاة عن النبي والدعاء، ثم يتم ذكر مواهب الطالب واجتهاده والمدة التي قضاها بجانبه، ثم ينتقل إلى العلوم التي تلقاها عنه والإذن له بنشرها ومن أمثلة على ذلك إجازة المقري لمحمد بن قاسم الشهير بابن القاضي بفاس، حيث حضر دروسه بجامع القرويين ولأزمه مدة حتى أجاهه، كما أنه أجاز العديد من العلماء أثناء إقامته بالمغرب. أما ابن زاكور المغربي فقد تتلمذ على يد العديد من علماء الجزائر، منهم الشيخ سعيد بن إبراهيم الجزائري والشيخ محمد بن عبد المؤمن وغيرهم من علماء الجزائر الذين نال من معظمهم إجازات، مثل أبي حفص عمر بن محمد، سعيد قدورة الجزائري، المانجلاتي الذي مدحه ابن زاكور بقصيدة من 39 بيتا جاء فيها:

حبر الجزائر والدنيا برمتها من عالج العلم حتى ذاع وانتشر.

ونجد كذلك الورثياني الذي كان يعرض على علماء المشرق والمغرب بعض مؤلفاته ويحصل على الإجازات منهم مثل الشيخ الشاذلي والشيخ خليل المغربي والشيخ البليدي والعمروسي بمصر اللذان أجازاه وخطيب الحرم. الذي ذكر أنه أجاز به بخط يده في سائر العلوم. كما نجد ابن حمادوش ذكر انه أجاز الشيخ الورززي والشيخ الدرعي والشيخ البناني وغيرهم، أما المقري فقد أجاز العيادي من علماء المغرب على غرار محمد بن قاسم الشهير بان القاضي، وأبا بكر السوسي وغيرهم كما أجاز محمود العمادي من الخليل واحمد بن القاضي بمصر والشيخ حنيف الدين مفتي الحنفية بالحجاز والمدينة.

كما أجاز احمد بن عمار الخليل المرادي الشامي، أما يحيى الشاوي فقد أجاز العديد من علماء المشرق. ونجد إجازة الشيخ محمد المنور التلمساني نزيل مصر للشيخ مرتضى الزبيدي، كما أجاز هذا الأخير، الذي أجاز مكاتبة الشيخ أحمد عبد اللطيف سنة 1765م، والشيخ عبد القادر الراشدي والشيخ أحمد البوني، كما أجاز ابن العنابي بمصر العديد من علماء المشرق.

#### 4-2- تبادل الرسائل والأسانيد:

لقد تعددت الرسائل الدينية بين علماء الجزائريين وغيرهم من علماء البلاد العربية، والتي تناولت قضايا فقهية ومسائل نحوية وقضايا تخص العامة مثل قضية التدخين التي تناولها الفكون وأبرز موقفه من الظاهرة، ومن هذه الرسائل التي تخص الفتوى أو النوازل، التي تبرز صلة علماء الجزائر بغيرهم مشرقا ومغربا منها ما ذكره المقري عندما كان في المشرق لنص رسالة فقهية على شكل قصيدة تخص (شرف الأم) أرسلها له محمد بن باديس، والتي أكد فيها صلته بعلماء الجزائر وعدم انقطاعه عنهم، وقد رد عليه بقصيدة شرح موقفه. أما الرسائل النحوية فنجد منها ما دار بين المقري وابن باديس دائما حول إعراب الآية في قوله تعالى: "ولأتمم نعمتي عليكم"، وتحتوي على ثلاث فصول ذكرهما الفكون والمقري.

وهناك رسائل على شكل ألغاز، التي تعتبر فرصة لإظهار القدرات الأدبية والذكاء في الفهم وحل اللغز منها مراسلة المقري مع المصري ابراهيم السحوري في لفظ التيه، وله تلغيز حتى مع مفتي الجزائر سعيد قدورة، في القوس والصنبر.

#### 4-3- المجالس والمناظرات العلمية:

تعتبر من أحد المظاهر التي ساهمت في خلق احتكاك بين العلماء وتنشيط الحركة الفكرية، والتي كانت تتسم بحدتها ومن أشهر المناظرات في هذه الفترة ما قام به أبي راس الناصري من مناظرات مع علماء المشرق والمغرب والحجاز، التي كان يريد بها إبراز تفوقه حيث قال في تونس: "اجتمعت بعلمائها وأجلة فقهاءها... فتذاكرنا وتناظرنا وتقابضنا في جميع الفنون"، أما بالقاهرة فقد ذكر لقائه مع علمائها قوله: "لقيت بها العلماء الكبار أهل العلم والأدب الأخيار...فتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جمة... فارتفع ذكري وازداد فخري، أما في الحجاز فقد ذكر أنه" التقى علماء الوهابية، لقيت عماء الوهابية وهم تسعة أكابر... فوق لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤالات وأجوبة... فعملت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع". ونجد كذلك الورثيلاني الذي عقد مجلسا له مع طلبة الأزهر في طريق عودته من الحج، والتقى مع الكثير من العلماء.

#### 4-4- انتقال المصنفات والكتب:

يعتبر تبادل المصنفات العلمية من أهم مظاهر التواصل العلمي بين الأقطار العربية، فقد ذكر الكثير من الرحالة الجزائريين عدد لا بأس به من الكتب التي اشتروه أو نسخوها أو استعاروها، منها ما ذكره الورثيلاني أنه استعار "شرح ابن عاشر" من الشيخ أحمد الصادق بطرابلس، كما اشترى وأبي راس الناصري نجده أعار كتاب درة الحواشي على شرح الخراشي، أما ابن حمادوش فقد ذكر انه نسخ العديد من الكتب، لما كان بالمغرب.

#### 4-5- الوظائف الرسمية:

قد تولى علماء الجزائر عدة وظائف في المدن العربية الكبرى، أين توافد عليهم الطلبة، منهم يحي الشاوي الذي اشتهر بالدروس والمناظرات باسطنبول أين كرمه السلطان العثماني، نجده تصدى للإقراء بالأزهر والتدريس بعدة مدارس بمصر، وعيسى الثعالبي الذي عمل مدرسا بالمسجد الحرام، عبد القادر الراشدي عمل قاضيا بمراكش، أبو العباس المغربي عمل مدرسا برواق المغاربة بالأزهر، وأسندت له مشخية الأزهر لكتن بسبب تعصب المصريين تم رفضه،

فتنازل له عمر الأسيوطي على إدارة أوقاف المدرسة الجوهريّة، والشيخ محمد بن حسين الجزائري تولى التدريس بالمدرسة الصرغتمشية بمصر.

#### 4-6- الصلات الروحية (الطرق الصوفية):

نتيجة التواصل بين الجزائر وبلاد المشرق والمغرب تولدت هناك صلات روحية تمثلت في انتقال الطرق الصوفية من المشرق أو المغرب إلى الجزائر أو العكس، ومن هذه الطرق نجد: 36- الطريقة القادرية التي انتقلت إلى الجزائر على يد أبي مدين شعيب بعد عودته من رحلته الحجّية، حيث التقى شيخها ببغداد، الذي لفته تعاليمها وقد انتشرت في العديد من المناطق الجزائرية.

37- الطريقة الشاذلية: مؤسسها أبي الحسن الشاذلي، انتقلت من مراكش للجزائر على يد أحمد بن يوسف الملياني، الذي أسس زاوية برأس الماء ومنها تفرعت عنها عدة طرق مثل الطيبية والزانية....

38- الطريقة الطيبية: أسسها إبراهيم الشريف بوزان المغربية، دخلت الجزائر عن طريق الرحلات والاتصالات بين العلماء.

39- الطريقة الدرقاوية: تفرعت عن الشاذلية، مؤسسها محمد العربي الدرقاوي كان له أتباع بالجزائر منهم عبد القادر الفليتي، الذي قاد تمرد ضد السلطة العثمانية، انتشرت في الجهة الغربية للجزائر.

40- الطريقة الحنصالية: فرع من الشاذلية أسسها سعيد بن يوسف المغربي بجنوب فاس، انتقلت للجزائر تلميذه سعدون الفرجيوي.

41- الطريقة الشاذلية: تأسست نواحي القروان من طرف أحمد بن مخلوف، دخلت للجزائر نتيجة الصراع بين الجزائر وتونس على المناطق الحدودية أين تحالفت مع قبيلة طرود (واد سوف)، اين كان لها مقدمون منهم، مسعود الشابي، عبد الصمد الشابي وعيسى الشابي.. انتشرت في واد سوف، سوق أهراس، خنشلة، القالة.

- 42- الطريقة الزروقية: مؤسسها أحمد الزروق الفاسي، دفين مصراتة، أين ظهرت طريقته، أقام الشيخ في بجاية وقسنطينة، من أشهر تلاميذه أحمد بن يوسف الملياني، انتشرت طريقته في تلمسان، بجاية، قسنطينة، مسكيانة، البرواقية.
- أما الطرق الصوفية الجزائرية التي انتشرت خارج الجزائر نجد:
- 43- الطريقة الرحمانية: انتشرت في تونس، أين كان لها زوايا بالكاف ونفطة، وبلاد الشام نتيجة هجرة أهل زاوية بسبب الاستعمار، وانتشرت حتى في السودان.
- 44- الطريقة التيجانية: دخلت إلى المغرب الأقصى نتيجة استقرار شيخها بفاس أين أنشأ أول زاوية، انتشرت بفاس وحتى وسط إفريقيا وبلاد السودان.

#### 4-7- أوقاف الحرمين الشريفين:

تعد من مظاهر التواصل الحضاري بين الجزائر والحجاز، فقد كان الجزائريون يوقفون أملاكهم لصالح الحرمين، بلغت أوقافها سنة 1835م 1558 وقفا أي ثلاثة أرباع مجموع العقارات المحبسة بمدينة الجزائر، تمثلت في سنة 1835م تمثلت أوقاف الحرمين الشريفين في 840 منزل، 258 دكان، 33 مخزن، 82 غرفة، 03 حمامات، 11 كوشة (فرن)، 04 مقاهي، 57 بستان، 62 مزرعة، 06 طاحونات، 201 فندق، كانت هذه المؤسسة تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي، حيث كان ركب الحج يحمل سنويا كمية من النقود والذهب والفضة والألبسة... لفقراء الحرمين الشريفين وخدامهما.

المصادر والمراجع:

أولاً: باللغة العربية

- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- بوزيية أحمد ، "المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس أنموذجا في القرن 10هـ/16م، الجزائر، 2011م.
- بوسلامة محمد ، "هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني 1518-1830"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج02، ع 01، 2019م.
- بو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، 1995م.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ج3.
- الحاج صدوق، دور ركب الحج الجزائري في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي، مجلة المفكر، مج05، ع01، 2021م.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2.
- حمادوش عبد الرزاق ابن ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحال، تح. أبو القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر، 1983م.
- خلدون عبد الرحمن ابن ، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ط1، دار البلخي، دمشق، 2006م، ج1.

- ابن خلدون عبد الرحمن ابن ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تقديم، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج1.

- خوجة، حمدان بن عثمان، إتحاف المنصفين والأدباء ففي الاحتراس من الوباء، تق وتح. محمد بن عبد الكريم، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.  
- دهان سليمان/ نويصر مصطفى، "تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني: بين تلبية المقدّس والتواصل الحضاري"، مجلة أفكار وآفاق، العدد 09، 2017م.  
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1، ج2.

- شجري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة الجزائر 02، 2018م.  
- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م، ج1.

- العويد نورة، التواصل الحضاري من منظور إسلامي، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2021م.

- الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م  
- معوان مصطفى، " مفهوم التواصل والحضارة الإنسانية"، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد 11، سنة 2004م.

- المقري أحمد، رحلة المقري إلى المشرق والمغرب، تح. محمد بن معمر، مخبر  
- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد، نفع الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م، ج1.  
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج07، ج11.

- ابن ميمون الجزائري محمد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.

- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الوسيط، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت.
- الورثيلاني الحسن، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.
- Devoulx, notes historique sur les mosques et autres edifices religieux d'Alger N04, 1860.

خاتمة:

البيبلوغرافيا:

أولاً: باللغة العربية

- ابن الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- ابن حمادوش عبد الرزاق، لسان المقال في النبأ عن النسب والحال، تح. أبو القاسم سعد الله، م. و.ك، الجزائر، 1983م.
- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ط1، دار البلخي، دمشق، 2006م، ج1.
- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تقديم، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج1.
- ابن خلدون يحيى بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، تح. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1980م.
- ابن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج07، ج11.
- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981م.
- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- بن اخروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، دار الامل، الجزائر، 2008م، ج2.
- بن الديب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

- بودريعة ياسين، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات البايلك وبيت المال، ماجتسير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2007م.
- بوزيبة أحمد: "المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس أنموذجا في القرن 10هـ/16م، الجزائر، 2011م.
- بوسلامة محمد، "هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني 1518-1830، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج02، ع01، 2019م.
- بوسماحة عبد الحميد، تلمسان ثقافة وتاريخ، منشورات الرياض، تلمسان، 2011م.
- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، 1995م.
- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة، ط02، دم.ج، الجزائر، 2009م، ج01.
- بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م، ج1.
- بوعزيز يحيى، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، الثقافة، ع63، 1981م.
- بوعمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، 1995م.
- التلمساني عبد الله محمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- التمغروطي علي بن محمد الجازولي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تقديم سليمان الصيد، دار بوسلامة، تونس، 1988م.
- التميمي عبد الجليل، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، عدد05، 1980م.
- التتسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياض، م.و.ك، 1985م.

- الجزائري محمد الحاج عيسى، " دور ملوك بني زيان في خدمة العلم بتلمسان"، مجلة أنثروبولوجيا الأديان مجلد 09، عدد 01، تلمسان، 2013م.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ج1.
- حاجيات عبد الحميد، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الأوسط، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
- حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2011م.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف مطبوعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2.
- خوجة حمدان، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تق وتح. محمد بن عبد الكريم، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- دهان سليمان/ نويصر مصطفى، "تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني: بين تلبية المقدّس والتواصل الحضاري"، مجلة أفكار وآفاق، العدد 09، 2017م.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1.
- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2003م.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.
- سي يوسف محمد، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني" الحياة الفكرية في الولايات العربية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ج1.

- سيدي موسى محمد الشريف، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، تقديم محمد الأمين بلغيث دار كرم الله، الجزائر، 2011م.
- شكري معمر رشيدة: "التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني" مجلة معارف، مج16، ع02، 2021م، جامعة البويرة.
- شكري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة الجزائر 02، 2018م.
- شكري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م، رسالة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2006م.
- صدوق الحاج، دور ركب الحج الجزائري في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي، مجلة المفكر، مج05، ع01، 2021م.
- العبدري، رحلة العبدري تح. تق. علي ابراهيم كروي، ط2، دار سعد، 2005م.
- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م، ج1.
- عمار أبو العباس أحمد، حلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1903م.
- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002م.
- العويد نورة، التواصل الحضاري من منظور إسلامي، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2021م.
- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، ط1، تحقيق. سعيد الفاضلي -سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.
- الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح. عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م.
- الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ج1.

- المزارى ابن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن 19م، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
- مسعود العيد، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سريتا، ع03، 1980م، قسنطينة.
- معوان مصطفى، "مفهوم التواصل والحضارة الإنسانية"، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد 11، سنة 2004م.
- المفتي حسين بن رجب، تقييدات بن المفتي، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة، العلة، الجزائر، 2009م.
- المقرى أحمد، رحلة المقرى إلى المشرق والمغرب، تح. محمد بن معمر، مخبر المخطوطات والحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، وهران، 2004.
- المقرى شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م، ج1.
- المنجد في اللّغة والأعلام، (من حرف الياء إلى الصاد)، ط43، دار المشرق، بيروت، لبنان، د.ت.
- ميسوم ميلود، "ملاحم من الحياة الثقافية باحضرة مازونة خلال العهد العثماني"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد 10، جامعة شلف، الجزائر، جوان 2019م.
- الميلي أحمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج3.
- الناصري أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ط1، تحقيق محمد بوركية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م.
- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.

- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الوسيط، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت.
- الورثياني الحسن، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ط2، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2.
- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع. إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م.

### ثانيا: باللغة الأجنبية

- Boyer (P), la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française, Imp, nationale Monaco, 1964.
- Depont (O), Coppolani (X), Les confréries religieuses musulmanes, A.Jourdan, Alger, 1897.
- Devoulx, notes historique sur les mosques et autres edifices religieux d'Alger N04, 1860.
- Devoulx.A, Les edifices religieux de l'ancien Alger, Bastide, Alger, 1870.
- Dr shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, unis, 1980.
- Rinn Louis, Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1884.
- Venture de paradis, Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle (1788-1790), editions grand livres, Alger, 2006.



الصفحة	العنوان
11 - 01	المحور الأول: الأوضاع الثقافية بداية العهد العثماني
01	مدينة تلمسان
04	مدينة بجاية
06	مدينة قسنطينة
07	مدينة وهران
08	مدينة الجزائر
27-11	المحور الثاني: المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني
11	المراكز التعليمية
19	الوقف ودوره في الحياة الثقافية
42-28	المحور الثالث: التعليم (مراحل)
29	مراحل التعليم
32	مناهج ووسائل التعليم
52-43	المحور الرابع: العلماء (نشاطهم، حركتهم، مصنقاتهم)
67-53	المحور الخامس: العلوم وأنواعها.
53	العلوم الدينية
57	العلوم الأدبية
62	العلوم العقلية
77-68	المحور السادس: الحواضر الثقافية
87-78	المحور السابع: التصوف والطرق الصوفية
78	التصوف وتطوره
83	الطرق الصوفية في الجزائر
88-	المحور الثامن: التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها العربي الإسلامي
88	تعريف التواصل
90	دوافع (خلفيات) التواصل الحضاري بين الجزائر والبلاد العربية
92	آليات وقنوات التواصل الحضاري
100	مظاهر التواصل

108	خاتمة
115-109	البيبلوغرافيا
116	فهرس الموضوعات